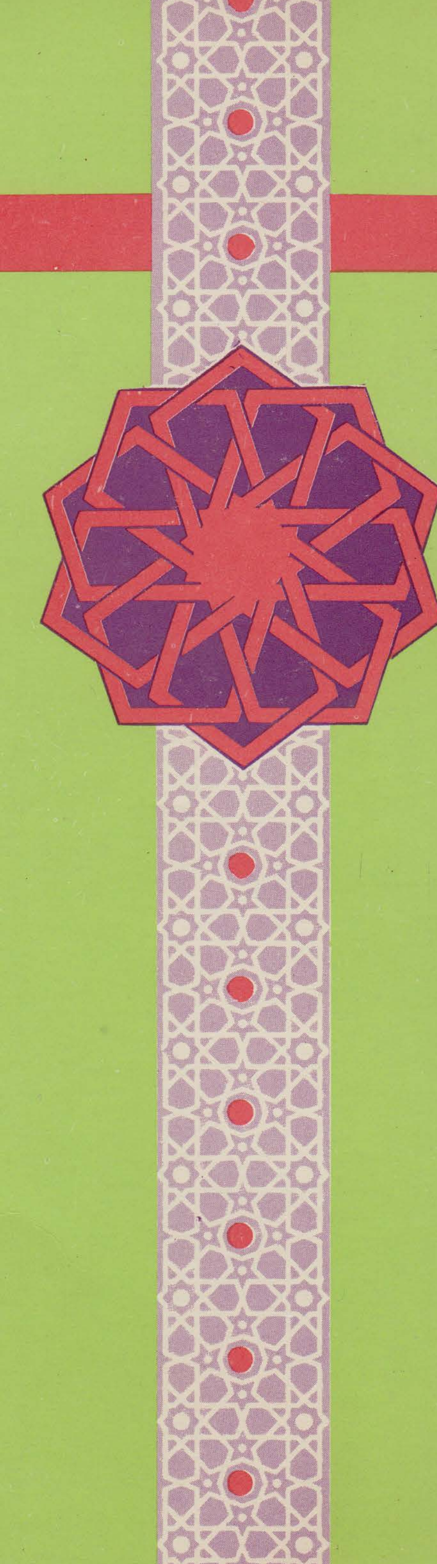
لقاء مع الابرار
«٦»



السيّد
بحر العلوم

تأليف نورالدين علي

ترجمة كمال السيّد


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

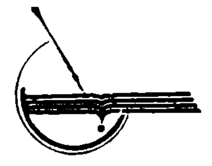
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

لقاء مع الابرار
«٦»

بحر العلوم

تأليف نورالدين علي

ترجمة كمال السيّد



ايران ـ قم ـ شارع الشهداء ـ مؤسسة أنصاريان

ص . ب ١٨٧ ـ هاتف ٢١٧٤٤

اسم الكتاب :	بحر العلوم
المؤلف :	نورالدين علي
المترجم :	كمال السيّد
صفّ واخراج :	محمّد افتخاري ـ تلفون ٦١٩٤٠٣
المطبعة :	صدر
الطبعة الاولى :	١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م
الناشر :	مؤسسة أنصاريان
عدد المطبوع :	٣٠٠٠

المحتويات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

كلمة الناشر

عديدة هي الطلبات التي تلقّتها مؤسسة أنصاريان سواء عبر الهاتف أم خلال رسائل القرّاء الكرام، وكلّها كانت تدور حول كتب تتحدث عن حياة العلماء من الذين كان لهم دور مشرق في عالم الفكر و دنيا العلوم، وقد عكفت المؤسسة علىٰ دراسة الموضوع باهتمام، استجابةً للرغبات المخلصة المتعطشة للثقافة الإسلامية ورموزها.

واذ تقدم «أنصاريان» سلسلة ـ لقاء مع الأبرار ـ فإنّها تتمنىٰ أن تلقىٰ الرضا والقبول من لدن جميع القرّاء الكرام، والله الموفّق.

مؤسسة أنصاريان

تمهيد

يقوم الهجوم الثقافي علىٰ دعامتين؛ الأولى: تحقير الثقافة الأصـلية، والثانية: التهويل للثقافة البديلة والغريبة في نفس الوقت. ومن خلال هذا الاستلاب الثقافي واحتقار الثقافة العريقة يشعر الشعب بحالة من الصغار تجاه الآخرين، غافلا عن ثقافته وما تحويه من الكنوز الثرّة، مستجدياً الغرباء، عارضاً حضارته وتمدّنه بثمن بخس.

ولقد عمل النظام البهلوي البائد علىٰ تكريس هذه السياسة في التعامل مع الغرب كاله للحضارة والمدنية والفن بل وحتىٰ الأخلاق والدين، وطرح الشرق باعتباره مثالاً للوحشية، والتخلف، وفي أحسن الأحوال: العـالم الثالث عالم الدول النامية؛ ولقد نجحت تلك السـياسات الشـيطانية إلىٰ حدّما وأصبح الغرب فى نظر الكثيرين ـ خاصة الشباب ـ يمثّل العالم الحرّ المنافح عن حقوق الإنسان والمدافع عن الديمقراطية والحرّية.

ولكن وكما يقال فإنّ الشمس لا تبقىٰ خلف الغيوم إلىٰ الأبد، وبـدت الحقائق واضحة وبدأ عهد الصحوة الإسلامية.. العهد الذي يتّسم بـعودة

الجيل الحاضر إلىٰ فطرته وقرآنه وعقيدته ورموزه.

وبالرغم من هذه الاشراقة التي تبشر بالخير الوفير فإنّ حالة الاستلاب الفكري وفي كثير من المجالات الحساسة ماتزال تعاني ذيول التأثيرات الغربية.

فما تزال شهادات الغرب تخطف أبصارنا، ومايزال الدواء الذي لا يحمل اسماً غربياً طناناً، عديم التأثير والفائدة، ومايزال الكثير من مظاهر الثقافة الغربية متغلغلاً بل ومتجذّراً في تربتنا، ومايزال الغرب يختار لنا الزي الذى نلبسه، ويعيّن نوع المداليات التي تمنح كجوائز للفائزين، وننتظر منه حتىٰ الجوائز الأدبية التي يسيل لها لعاب الكثيرين. ولكن هل من الصحيح أن نعدّ الغرب مثالاً؟ الغرب الذي ظهر علىٰ حقيقته بشعاراته الجوفاء.. وبدعاواه الفارغة في الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان.

لماذا هذا الشعور بالنقص تجاه جلاّدي القرن الخامس عشر الهجري؟!

فالغرب الذي يمنح جوائزه «الأدبية» إلىٰ عديمي «الأدب» من أمثال سلمان رشدي، في الوقت الذي يصدّر أوامره بحرمان الطلبة المسلمين من الإشتراك فى أولمبياد الفيزياء، مازلنا ننظر إليه كمثال، بالرغم من تمييزه العنصري المقرف.

ان علىٰ العالم الاسلامي أن يسعىٰ بجدّ إلىٰ تشكيل «نظام دولي إسلامي» وأن يقطع كل آماله من شعارات الغرب في الديمقراطية والحرّية والدفاع عن حقوق الإنسان.

وهل هناك أمل ونحن نشهد ماجرىٰ ويجري في الأرض الإسلامية في

«البوسنة والهرسك» و «الجزائر» و «فلسطين»؟ وليعلم كل من يهمه أمر المسلمين أنه لا ملجأ إلاّ في العودة إلىٰ أحضان القرآن وظلاله الوارفة.

و «**لقاء مع الأبرار**» خطوة في الطريق ـ طريق العودة الىٰ الذات ـ من خلال الإشارة إلىٰ نجوم الفكر الإسلامي.. اولئك العمالقة الكبار الذين تضيع فى عوالمهم وآفاقهم الرحبة زعماء العقائد الأُخرىٰ ومفكروها.

ان أشدّ مايرهب الغرب ويرعبه، هو عودة الأمّة الىٰ هويّتها.. إلىٰ رموزها.. إلى اولئك الذين مهّدوا من خلال جهودهم المتظافرة طريق الإسلام اللاحب.

ولقد أخذت «**لقاء مع الأبرار**» عهداً علىٰ استكشاف معالم سبعين كوكباً مضيئاً في سماء الفكر الإسلامي، وتقديمهم معالم منيرة في طريق البناء.. بناء الحضارة الإسلامية من جديد.

قم ـ مؤسسة باقر العلوم للبحوث

مقدمة المترجم

تحتل مسألة ظهور الامام المهدي في آخر الزمان رقعة واسعة وعميقة في التراث الشيعي منذ صدر الاسلام وحتى اليوم، وسيبقىٰ التفسير «الامامي» للحديث النبوي الشريف حول الخلفاء الاثني عشر في طليعة التفاسير الأخرىٰ علىٰ الاطلاق، وهو تفسير أيدته الوثائق التاريخية رغم اتجاهاتها المختلفة، فيما بقيت التفاسير الأخرى في حيرة من أمرها.

وبالرغم من الغموض الذي يكتنف حياة آخر الخلفاء أو الائمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، ومن ثم اختفائه عن الأنظار، إلاّ ان الظروف التاريخية يمكن ان تقدّم تفسيراً منطقياً عن رسالة «المهدي» الكبرىٰ وبواعث اختفائه حتىٰ يأذن الله.

وخلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن أي منذ عام ٢٦٠ هـ وحتىٰ اليوم حدثت لقاءات عديدة مع الامام الغائب في هذه البقعة أو تلك من الأرض وفي هذا العصر أو ذاك من التاريخ.

أما الذين التقوا الامام المنتظرعليه السلام فكانوا من مختلف الطبقات بينهم عباقرة خالدون وآخرون عابرو سبيل.

وملف اللقاءات بصاحب الزمان يزخر بالكثير الكثير من الأدلة والشواهد مايفوق ملف الصحون الطائرة خاصّة اذا أخذنا بنظر الاعتبار درجة الرؤية ومستوىٰ الشهود.

ومن هنا فاننا أمام ظاهرة تستحق التأمّل والبحث، ولعلّ في حياة العلاّمة بحر العلوم منطلقاً في الايمان بوجود الامام المهدي ايماناً يتجاوز القالب الفلسفي الىٰ المعايشة والترقب والانتظار الحق.

لقد كان بحر العلوم زعيماً يستحق الإجلال، عاش حياة بسيطة مطمئنة، يتفقد الفقراء والمعوزين والمحتاجين، ويسعىٰ في إرشاد امته الىٰ المسار الالهي المنشود، وكان في كل ذلك يترسم خطىٰ الائمة من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

كمال السيد

محمّد مهدي بحر العلوم

ينابيع النــور

صفحات التاريخ وهي تزخر بالحكايات، بالقصص، بكـل مـا يـعلّم الانسان دروساً في الحياة والتكامل، تتحدث عن أُناس عاشوا حقبة من الزمن ثم رحلوا، وبقيت تجربتهم في الحياة عِبرة لمن يعتبر، ودروساً لمن أراد أن يتذكر؛ وستبقىٰ حياة «بحر العلوم» واحدة مـن تـلك التـجارب البشرية المعطاء. انها قصة كوكب ساطع أضاء العالم مدّة، ثم غاب، ومـا تزال هالته تطوف في سماء التاريخ والحضارة.

ترىٰ من يكون ذلك الرجل العملاق؟ من أيّة سلالة؟ ومن أيـة أرض؟ ومن أي الينابيع جاء؟

شجرة عميقة الجذور وارفة الظلال، حلوة الثمار، ينشدها السـائرون كلما أضناهم السفر.

وبحر كبير متلاطم الأمواج.. أمواج العلم والعمل. عرف الطريق الذي يؤدي الىٰ الله حقيقة الوجود المطلقة..

جبلٌ شاهق تعانق قمته السماء، كوكبٌ ساطع ملأ الدنيا نوراً، بحرٌ بلا شواطئ، علم علىٰ رأسه نار، ولد فـي الأرض الطـيبة، عـاش مـع الفـقر واستأنس به، وحارب الجهل بِأسلحة العلم والتقوىٰ والصلاح، إن تحدّث

خلته ابن سينا، أو استدل، قلت انه سقراط.

وان ساق المقال في العقائد تجسّد لك الشريف المرتضىٰ، أو فسّر القرآن تذكرت ابن عباس حبر الأُمّة، مفسّر وأصولي، فقيه وفيلسوف، حكيم وأديب.. لم تتمخض الأيام عن مثله، ولم ينجب الدهر نظيراً له. تعرفه كربلاء وتعرفه النجف، والحجاز وخراسان.. بل العالم الاسلامي كلّه.

انه محمد مهدي نجل السيد مرتضىٰ الطباطبائي البروجردي، من أحفاد الامام الحسن المجتبىٰ عليه السلام.. سليل اسرة متدينة عريقة عُرفَت بالتقوىٰ واشتهرت بالصلاح. ولد في ليلة الجمعة من شهر شوال عام الف ومئة وخمسة وخمسين للهجرة.

في ليلة مباركة حالمة مفعمة بكلمات الله، زاخرة بروح الملكوت، بتمتمات دعاء «كميل»، حيث النفوس تحلّق حول عرش معبودها، تسبح بخالقها خالق العالمين.

أجل في تلك اللحظات أطلّ المولود علىٰ العالم، وأصغت الدنيا الىٰ أولىٰ نغمات بكائه، فامتزجت مع مناجاة المؤمنين من عباد الله الصالحين.

عاش يحلم بلقاء المهدي المنتظر واقترن اسمه باسم المخلّص الموعود.

في كربلاء

في أرض الدم والشهادة، في الأرض التي شهدت الصراع الخالد بين الحق والباطل، بين الفضيلة والرذيلة، بين الملائكة والشياطين، في

الأرض التي شهدت انتصار الدم علىٰ السيف، في أرض الحسين، كان ميلاد سليل الحسن.

أجل في كربلاء المقدسة ولد هذا السيد العظيم، فأضاء منزلاً صغيراً من بيوتها المتواضعة، وكان والده غافياً يحلم فرأىٰ الامام الرضا عليه السلام يأمر أحد أصحابه (محمد بن اسماعيل) ـ وكان قد لازم أباه الكاظم كما لازم ابنه الجواد، أيضاً ـ أمره ان يشعل شمعة فوق منزل سيد مرتضىٰ.

وأضاءت الشمعة الخافقين، وكان نورها يعلو ويعلو حتىٰ وصل عنان السماء. وينبهر الوالد، ويتمتم: ماذا أرىٰ؟ ويستيقظ، فيتأمل صفحة السماء وهي تكتظ بالنجوم.. نجوم تومض من بعيد من أغوارها السحيقة.. فتتهامس فيما بينها.. تبشِّر بميلاد سيد عظيم. وتصل البشرىٰ.. انّا نبشرك بغلام. ويهمس الوالد بخشوع: حاشا لله، ما هذا بشرٌ إن هو إلا ملكٌ كريم..

وقال المعبّرون: انها ليست اضغاث أحلام، انها رؤيا تنطق بالحق.. وسيكون لهذا الوليد شأن وأي شأن.. سيكون وحيد عصره وفريد دهره.. وسيفتح الله على يديه أبواب العلوم.

في رحاب الأبوّة

من الاحضان الدافئة المفعمة بالمحبة والايمان والأمل، كان المنطلق وفي ظلال الخُلق الرفيع والأدب السامي كانت النشأة.

كان يلازم أباه كما يلازم الظل صاحبه، بل كان ظلّه، وهو يتوجه لزيارة

مرقد سيد الشهداء عليه السلام.. وهو يلقي دروسه على التلاميذ في تلك البقعة الطاهرة من العالم.

وكانت الكلمات تنساب من روح الأب الاستاذ لتجد طريقها الىٰ مسمع الابن المرهف، لتستقر في أعماق القلب المتفتح.

لم يكد يتم السابعة من عمره حتىٰ أتقن القراءة والكتابة، وبدأت حلقات الدرس تألف ظهور تلميذ صغير السن، يشارك العلماء بحوثهم والاساتذة دروسهم. وبدأ مثل شمعة تضيء أو نبع نور يتدفّق.

علّمه أبوه مبادئ الصرف، النحو، البيان، والمنطق، وأمضىٰ في ذلك أربعة أعوام حتىٰ اذا أطلّ علىٰ الثانية عشرة من عمره اذا به يتقن الفقه وأصوله، ويواصل «البحث الخارج» علىٰ أيدي اساتذة كبار، وتمضي خمس سنين، فلما أطلّت العشرون من عمره حاز مرتبة الاجتهاد!

في بروجرد

يذكر الحاج الشيخ جعفر الشوشتري ان حاكم بروجرد زار ذات يوم العالم الجليل السيد مرتضىٰ الطباطبائي في منزله، ولما خرج صادف في باحة الدار ابنه سيد مهدي (بحر العلوم) وكان وقتها صبياً فتوقّف عنده الحاكم وعامله برقّة بالغة ثم غادر المنزل، فما كان من الصبي إلاّ توجّه ان نحَو والده قائلاً: هلكت ياوالدي فارسلني خارج هذه المدينة.

فاستنكر والده ذلك قائلاً: لماذا يابني؟

فأجاب الصبي: لقد شعرت بأن قلبي مال الىٰ الحاكم وزال منه ذلك البغض الذي أكنّه للظالمين، ولهذا أودّ الرحيل عن هذه المدينة[١].

ومن هنا جاءت هجرة السيد بحر العلوم من بروجرد[٢].

ولقد أمضىٰ «بحر العلوم» خمسة غشر عاماً من عمره في كربلاء، تتلمذ خلالها علىٰ أيدي اساتذة كبار في طليعتهم والده الجليل، والشيخ يوسف البحراني، واستاذ الكل الوحيد البهبهاني[٣] (رضوان الله عليه).

ولقد كان والده السيد مرتضىٰ الطباطبائي أول اساتذته، غذّاه علوم الدين ممتزجة بالحب والتقوى والصلاح.

ولد أبوه في مدينة النجف الأشرف وفيها نشأ وتعلّم، حتىٰ اذا أمضىٰ شبابه في تلك المدينة الطاهرة، قصد بروجرد وطن الآباء والأجداد وتصدىٰ هناك لإدارة شؤونها الدينية. وكان الناس يقصدون منزله لحلّ مشكلاتهم وفضّ نزاعاتهم؛ فمكث مدّة ثم عاد الىٰ مسقط رأسه في النجف وأصبح من كبار اساتذتها وعلمائها، وكانت محطته الأخيرة الىٰ ان وافاه الأجل سنة ١٢٠٤ هـ، فدفن الىٰ جانب ضريح الامام الحسين عليه السلام.

وقد تولّىٰ نجله العظيم تكفينه والصلاة عليه و واراه الثرى، ثم صنع له

---

(١) منتخب التواريخ: ص ١٨٢.

(٢) تعني الكلمة في أصلها البناء والعمران، وبروجرد مدينة عريقة يعود تاريخها الى عصور ما قبل الاسلام الى العصر الساساني، وهي احدىٰ مدن اقليم لرستان، وتمتاز بمناخها المعتدل.

(٣) مقدمة الفوائد الرجالية: ص ٦٦.

قبراً من الخشب سرعان ما ضم فقيداً آخر هـو اسـتاذه الأكـبر الوحـيد البهبهاني، وعرف القبر فيما بعد بقبر «السيدين العظيمين»[1] فسلام عليهما في العالمين.

(١) مقدمة الفوائد الرجالية: ص ٢٦، ٢٧.

الفصل الأول

في رحاب الوحيد البهبهاني

تتلمذ السيد بحر العلوم علىٰ يد الوحيد البهبهاني وكان من أبرز علماء عصره علىٰ الاطلاق، وقد عرف باستاذ الكل، اشتهر بعلمه الواسع وتقواه وحياته البسيطة، ويعد رائداً لعلم الرجال والأصول [1]، ولد في مدينة اصفهان سنة ١١١٨ هـ أقام مدّة في مدينة بهبهان، ثم يمم طرفه نحو كربلاء حيث المرقد الطاهر لسيد الشهداء الحسين عليه السلام، وقد عاش في شظف من العيش وضاقت به الحياة حتىٰ انه قرّر العودة الىٰ ايران، ولكنه رأىٰ ذات ليلة ـ فيما يراه النائم ـ الامام الحسين عليه السلام يعاتبه ويبدي عدم رضاه، فألغىٰ فكرة سفره ومكث في المدينة الىٰ جانب جدّه الحسين عليه السلام.

الصراع مع الاخباريين

وقد عاش هذا المحقق الكبير في زمن سيطر فيه الاتجاه الاخباري، متخذاً من كربلاء مركزاً، ووصل التطرف بالاخباريين حدّاً أفتوا فيه بحرمة دراسة علم الأصول، فانزوىٰ الاجتهاد وعلم الاصول وانحسر عن الحياة الفكرية مدّة قرنين من الزمن تقريباً.

---

(١) مرآة الاحوال: ص١٤٧.

وبدأ محمد باقر البهبهاني صراعه المرير مع الاتجاه الاخباري، وشرع بتدريسه لعلم الأصول[١] في السراديب والأقبية، فتخرّج عليه جمع من كبار المجتهدين في طليعتهم السيد محمد مهدي بحر العلوم، ومن هنا جاءت تسميته باستاذ الكل والاستاذ الوحيد.

وفي مقابل جمود الاخباريين تحرك البهبهاني في ذات الطريق التي سار عليها كبار العلماء من السلف الصالح، كالعلاّمة الحلي (حسن بن يوسف) المتوفى سنة ٧٢٦ هـ والشهيد الأول (محمد بن مكي) المستشهد سنة ٧٨٦ هـ فعادت للعقل منزلته واستأنف دوره في الحياة الفكرية.

ولقد كانت سيرة البهبهاني وخلقه الرفيع وحياته البسيطة قد عزّزت من مكانته في القلوب ورفعت منزلته في النفوس، فعاش حياته يأنس بالفقر والفقراء ويستوحش من الدنيا وأهلها.

---

(١) يرىٰ الاصوليون انه بدون الاجتهاد واعتماد العقل لايمكن معرفة الحكم الشرعي، فيما يرىٰ الاخباريون ان اعتماد الاخبار والروايات والتعبد بها هو الطريق الى معرفة حكم الشارع دون الاستناد الى حكم العقل أو الاجتهاد، وقد ردّ الاصوليون بأن الرجوع الى الاخبار دون معرفة غثها وسمينها،المطلق والمقيد النسخ العام والخاص يشبه الى حدّ كبير رجوع المريض الىٰ الصيدلية مباشرة دون مراجعة الطبيب؛ ويعد الملاّ محمد الأمين الاسترابادي المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ من مؤسسي الاتجاه الاخباري الذي صنّف كتابه المشهور «الفوائد المدنية» ونشر فيه أفكاره في هذا المضمار، والتي هيمنت فيما بعد على الحياة الفكرية مدّة قرنين، ولعلّ افراط الأصوليين في اعتماد العقل واهمالهم الىٰ حدّ ما الروايات والاخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام هو الذي قاد الىٰ ردّة الفعل المتطرفة هذه، فظهر الاتجاه الاخباري الذي يدعو الى تهميش دور العقل واقصائه تماماً.

وكان؛ حلو الحديث، طيب المعشر، يعظم العلم ويكرم العلماء، فتخرج على يديه جيل من الفقهاء والفضلاء، وبقي قدوة واسوة حتىٰ وافاه الأجل سنة ١٢٠٦ هـ والىٰ القارئ الكريم موقفاً من مواقفه:

الهدية

طَرَقَ عليه ذات يوم وفد قدم من ايران يحمل اليه هدية ملكية من الشاه محمد خان القاجار، وكانت عبارة عن مصحف مرصّع بأنواع الياقوت والماس والزبرجد وسائر الاحجار الكريمة، فخرج اليهم وبيده القلم وسألهم عن حاجتهم، فأجاب رئيس الوفد: ان جلالة ملك ايران قد بعث لكم بهدية، فألقىٰ السيد نظرة على المصحف وقال بحزن:

لِمَ تحبسون كتاب الله في مثل هذا وتعطّلون أحكامه.. انزعوا هذه الاحجار وبيعوها وقسّموا ثمنها بين الفقراء..

استدرك رئيس الوفد: والمصحف ياسيدنا.. انه بخط أعظم الخطاطين في ايران..

تمتم المرجع الكبير: ليبق عند حامله يقرأ فيه كلمات الله. أما أنا فلديّ مصحف في منزلي..

قال هذا، ثم أغلق الباب.

وهكذا عاش الوحيد البهبهاني زاهداً في متاع الدنيا، يعظّم العلم والعلماء، فعاش في الدنيا محموداً وفي الآخرة سعيداً.

صاحب الحدائق

يعدّ الشيخ يوسف البحراني، ثالث اساتذة بحر العلوم، وقد ولد هذا الفقيه الكبير ـ كما ذكر ذلك في كتابه «لؤلؤة البحرين» ـ في قرية «ماحوز» احدىٰ قرىٰ البحرين في عام ١١٠٧ هـ وقد عاصر هذا الفقيه النابغ حوادث وحروبا عاصفة. وكان عمره خمسة أعوام عند نشوب النزاع بين أبرز قبيلتين في البحرين، وكان والده يعمل غوّاصاً أو يتاجر في بعض الأحيان، وكان كريماً سخيّاً ينفق كل ما يحصل عليه علىٰ ضيوفه وعشيرته والذين يقصدونه في سدّ عوزهم. ويذكر انه كان يدرس «قطر الندىٰ» عندما تعرضت البحرين لهجمات الخوارج، وتمكنوا من احتلالها بعد ثلاثة أعوام من الحروب، فتعرضت البلاد للنهب والسلب، وفرّ بعض أعيانها الىٰ «القطيف» وكان من ضمنهم والده الذي أوصاه في البقاء في «ماحوز» لاسترجاع بعض الكتب التي نهبت، وتمكن يوسف من اعادة بعضها ثم إرسالها الىٰ القطيف، وبعدها يتوجه الى القطيف لزيارة أُسرته، وبعد مضي شهور عديدة يقرر الوالد العودة الى البحرين.

ولم تمضِ مدّة وجيزة حتىٰ اشتعلت حرب أخرى. وتنشب الحرائق في عدّة مدن، وتلتهم النيران بيتهم وما فيه من حصاد العمر. ويلتفت الأب يميناً وشمالاً فلا يجد سوىٰ قلّة المال وكثرة العيال، فيسقط فريسة المرض ثم يفارق الدنيا بعد مدّة.

فتعود الأُسرة الى القطيف فيما يظل الابن علىٰ اتصال مع البحرين لتفقد أرض لهم بين مدّة وأُخرىٰ واستصلاح نخيلها وجمع ريعها كل عام والعودة الىٰ القطيف لاستئناف دراسته، وفي تلك المدّة يتوجّه «الشيخ يوسف» الىٰ حج بيت الله الحرام وبعدها ينطلق الىٰ «كرمان» ومنها الىٰ شيراز فيشتغل في التدريس وامامة الجماعة والجمعة، يسجّل خلالها الكثير من المسائل، ويحلّ الخراب في المدينة فينتقل الىٰ القرىٰ حيث ينزل قرية «فسا»[1] وينصرف الى تصنيف كتابه «الحدائق»، اضافة الىٰ عمله في الزراعة في أرضها، وتحصل بعض الحوادث ويفقد أكثر كتبه، فيتوجه الىٰ «اصطهبانات»، وهناك يفكر بالرحيل الىٰ كربلاء والإقامة فيها بقية عمره.

وفي شهر ربيع الأول ١١٨٦ هـ توفي صاحب الحدائق وصلّىٰ على جثمانه الطاهر آية الله محمد باقر البهبهاني، ووري الثرىٰ في أروقة المرقد الحسيني الشريف[2].

في النجف

اما اساتذته في مدينة النجف الأشرف فقد درس بحر العلوم على يد:

١ ـ الشيخ محمد تقي الدورقي النجفي: وهو عالم محقق ويعدّ من وجوه

---

(١) هي اليوم مدينة كبيرة.

(٢) قصص العلماء: ص ٢٧٢، لؤلؤة البحرين: ص ٤٤٢.

أهل زمانه ومن مشاهير علماء العراق، توفى سنة ١١٨٦ هـ[1].

٢ ـ الشيخ مهدي الفتوني النباطي المعروف بمحمد مهدي النجفي، ولد في مدينة النبطية[2] (لبنان) وغادر الى العراق بعد الظلم والقهر الذي تعرض له الشيعة في عهد السفاك أحمد پاشاي؛ فاتخذ من مدينة النجف موطناً له، ودرس فيها الى ان أصبح أحد أساطين العلم، توفي سنة ١١٨٣ هـ[3].

وقد حلّ السيد بحر العلوم في النجف الأشرف سنة ١٠٦٩ هـ وانتسب الىٰ جامعتها الاسلامية الكبرىٰ فبقي فيها مدّة ينهل مِن علومها ثم انتقل الى مدينة كربلاء، درس فيها علىٰ يد الميرزا أبو القاسم المدرس الحكمة والفلسفة، ثم عاد بعدها الى النجف حيث اتخذها موطناً دائماً له. وبعد سعي حثيث بزغ نجم السيد كعالم متبحر كبير.

وقد لمع اسمه في زمن استاذيه (الوحيد البهبهاني والشيخ يوسف البحراني) وكان الناس وقتها يرجعون اليهما، وعرف الناس فضله وعلمه، فتهافتوا على درسه تهافت الفراشات تدور حول نوره وتنهل من علمه.

وكان الوحيد البهبهاني في أواخر حياته يرشد الناس اليه في مسائل الاحتياط[4] وعدّه مجتهداً جامعاً للشرائط.

---

(١) أعيان الشيعة: ج ٩ ص ١٩٥.

(٢) كانت تعرف باسم النباطية.

(٣) أعيان الشيعة: ج ٣ ص ٧٩.

(٤) مكارم الآثار: ج ١ ص ٤١٧ ـ ٤٢١.

في خراسان

في سنة ١١٨٦ هـ وقد بلغ السيد بحر العلوم الثلاثين من عمره الشريف يتصدىٰ الى مرجعية الأمّة، وتصله دعوات متعددة من قِبل علماء ايران، فيعقد عزمه على التوجّه الىٰ مشهد والتشرف بزيارة المرقد الطاهر للامام الرضا عليه السلام.

وهكذا غادر النجف وسط توديع الجماهير التي ملأت الأزقة والشوارع وهي تتحسر على فقدها رجلاً عظيماً كبحر العلوم. وشيَّعته حتىٰ بوّابة المدينة حيث الطريق المؤدية الىٰ مشهد.

ويتوقف السيد مدّة قصيرة في مدينة كرمنشاه، ثم يستأنف رحلته، وعندما يقترب من مدينة مشهد تهب جماهير خراسان وعلماؤها لاستقبال الزائر الكريم فَرِحَةً بمقدمه المبارك، ويلقي السيد رحله في المدينة المقدسة، فيُقيم فيها مدّة ستة الىٰ سبعة أعوام[1].

إنّما أنت بحرٌ

وخلال اقامته في مشهد المقدسة لم يفرط في وقته لحظة واحدة، فكان يباحث العلماء والفقهاء، كما انتظم في حلقات الدروس لدىٰ الاستاذ الشهيد الميرزا مهدي الاصفهاني فدرس عليه الفلسفة والكلام، والعقائد،

---

(١) أعيان الشيعة: ج١٠ ص١٥٩.

ويندهش الاستاذ من ذكاء تلميذه الحادّ، فخاطبه ذات مرّة: انما أنت بحر العلوم[1]، وبقيت هذه الكلمات تدوّي في الآذان لتصبح فيما بعد لقباً لأُسرة كبيرة تفتخر بزعيمها مدىٰ الأيام.

ويعلّق صاحب «الروضات» علىٰ ذلك قائلاً:

ان أحداً لم ينل قبله ولا بعده لقباً كهذا اللقب.

شهيد الىٰ جانب شهيد

لقد كان الميرزا محمد مهدي الاصفهاني الخراساني فيلسوفا كبيرا، ولد سنة ١١٥٣ هـ ويُعدّ من مشاهير خراسان بل ايران كلّها، وكان أحد المهديين الأربعة من تلاميذ الوحيد البهبهاني، وقد برع في علوم المعقول والمنقول، ولم يكن له نظير في ذلك. استشهد في عهد «فتح علي شاه»، وقد وقعت الحوادث التي أدّت الىٰ شهادته على هذا النحو:

كان نادر ميرزا افشار وهو من أحفاد نادر شاه حاكماً علىٰ مشهد، وكان ملوك القاجار يكنون له بالغ الاحترام بسبب ذلك، وقد استغل نادر ميرزا ذلك فأعلن تمرّده علىٰ الحكومة المركزية وذلك سنة ١٢١٧ هـ فأرسل فتح علي شاه جيشاً لإنهاء التمرّد، وحوصرت المدينة، وضاقت بالناس الأرض، وعاش الأهالي ليالي قلقة فلجأوا الى هذا العالِم الكبير علّه يجد حلاًّ للأزمة، فأرسل أحد ذويه الىٰ الحاكم ليتحدث اليه بشأن احلال السلام

---

(١) أعلام الشيعة: ص٢٩٣.

واللجوء الىٰ الصلح وفتح بوابات المدينة بوجه القوّات الحكومية.

ويرفض نادر ميرزا ذلك بشدّة. وامام حراجة الموقف أمر الميرزا محمد مهدي بعض أهالي المدينة بفتح أبواب مشهد، وعندما يطّلع الحاكم علىٰ ذلك يشتد غضبه ويعتبر ذلك خيانة له وتضامناً مع أعدائه، فـينطلق مـع بعض انصاره ويدخل الصحن الطاهر، وكان الميرزا مشغولاً بتلاوة القرآن فيقف علىٰ رأسه صائحاً:

ـ أتُريد تسليم الحكم الىٰ الاعداء وتحرّضهم علىٰ ذلك؟.

وقبل أن يردّ العالِم، عاجله الحاكم بسيفه وضربه ضربة أودت بحياته، فانتقل الىٰ الرفيق الأعلىٰ، وذلك في شهر رمضان سنة ١٢١٨ هـ.

ومن جملة أسـاتذة بـحر العـلوم يـمكن الاشـارة الى مـحمد بـاقر الهزارجريبي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ، والسيد حسـن الموسوي الخونساري المتوفى سنة ١١٩١ هـ، والسـيد حسين القزويني المتوفى سنة ١٢٠٨ هـ، وكذا الشيخ عبد الباقر الاصفهاني امام جمعة اصفهان المتوفى سنة١٢٠٧ هـ.

الاستاذ والتلميذ

ومن أطرف الحكايات في حياة هذا العالم الكبير؛ انـه كـان اسـتاذاً للميرزا أبي القاسم نجل محمد اسماعيل المدرس وكان تلميذه ايضاً، فقد درّسه الفقه والأصول ودرس عنده الحكمة والفلسفة مدّة أربعة أعوام.

وقد التحق هذا الفيلسوف الكبير بالرفيق الأعلىٰ سـنة ١٢٠٢ هـ فـي

اصفهان. ونقل جثمانه الى النجف الأشرف، ليدفن الى جانب قبر الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

العودة الىٰ النجف

في عام ١١٩٣ غادر بحر العلوم مشهد عائداً الى مدينة النجف الأشرف، واذا كان وداعه حزيناً فقد كانت عودته عيداً لأهالي المدينة، فقد احتشدت الجماهير عند بوّابة النجف ونظمت للعائد استقبالاً كبيراً ترجم كل معاني الحب والاجلال، فكانت عودته عودة للحياة وانبعاثاً للأمل في القلوب.

الىٰ الحجاز

وفي أواخر نفس العام ـ ١١٩٣ هـ ـ غادر النجف متوجهاً الى مكة المكرمة مهبط جبرئيل عليه السلام، وقد استقبل بحرارة من قبل جميع الطبقات، وانطلاقاً من شعوره بالمسؤولية فقد أقام مدّة عامين الىٰ جانب البيت العتيق عاقداً مجالس الدرس والبحث في علم الكلام في ضوء المذاهب الأربعة، حتىٰ ظن اتباع كل مذهب أنه منهم.

وقد بقي طوال تلك المدة منطوياً على سرّه، فلما أتمّ مهمّته وأدّىٰ واجبه أعلن انتمائه الىٰ مذهب أهل البيت عليهم السلام، وقد كان ذلك الاعلان بمثابة بركان انفجر فجأة ليهزّ الوسط الفكري آنذاك، فبدأ فصل جديد من

الجدل والنقاش والحوار وقد ظهر تفوّق السيد في ذلك بسبب قوّة الأدلّة التي يسوقها ومنطقيتها، وكان له في كل ذلك قصص وحكايات.

حكاية راكب الناقة

ينقل الملاّ زين العابدين السلماسي الذي رافق بحر العلوم، ان السيد عندما كان في مكة لم يكن يشعر بالغربة، فكان قويّ القلب ينفق ويهب بلا حساب، وقد اخبرت السيد ذات يوم بنفاد ما عندنا، فلم يقل شيئاً، وكان من عادته ان يطوف حول الكعبة عند الفجر ثم يعود الى المنزل؛ فيأوي الىٰ غرفته، وكان يدخن في نرجيلته ويلقي الدروس كل حسب مذهبه.

وكعادتي أحضرت له النرجيلة ذلك اليوم، في الاثناء تعالت طرقات على الباب؛ فتغيّر وجه السيد فقال مضطرباً: خذ النرجيلة بسرعة، ثم أسرع نحو الباب، فظهر رجل تبدو عليه سيماء الشهامة وكان يرتدي زيّاً عربياً، فقاده السيد الى غرفة الضيوف وجلسا يتحدثان ساعة، ثم نهض الضيف فودعه السيد مقبّلاً يده باحترام بالغ ثم ساعده علىٰ ركوب ناقته، ثم عاد السيد وقد تغيّرت ملامح وجهه فسلمني حوالة، وقال: خذ هذه الحوالة وانطلق الى جبل الصفا ستجد هناك صرّافاً سلّمه الحوالة.

فانطلقت وما أسرع ان وجدت الصرّاف فسلمته الحوالة والقىٰ عليها نظرة ثم قبلها وقال: يلزمك حمّالون، فجئت له بأربعة فحملنا المال الى منزل السيد ثم عدت اليه لأسأله عن شأنه فلم أجد له من أثر فسألت عنه

الصرافين فأنكروا معرفتهم، وقالوا: اننا لم نرَ صرّافاً في هذا المكان.

لقد بلغ من علمه وشأنه ان قال بعضهم لو ان بحر العلوم ادّعىٰ مذهباً آخر لما جرؤ أحد على البحث معه أو الوقوف بوجهه، فقد كان علماء مكة يتحلقون حوله في صحن المسجد الحرام فيقضي في تدريسهم شطراً من الليل.

ولم ينحصر نشاط السيد اثناء اقامته في مكة على التدريس والبحث، بل تعدّىٰ ذلك الىٰ بعض الأعمال الهامة منها:

انه حدّد بدقة أماكن الحج ومواقفه ومواقيت الاحرام طبقاً لما عيّنه الشرع، ولقد كانت قبل ذلك غامضة مبهمة، ولقد تحمل بحر العلوم في ذلك مشاقّ كبيرة كانت ثمارها ان يؤدي الحجيج اليوم مراسم الحج وشعائره بطمأنينة وفراغ بال، كما تمكن من استبدال الحجارة المعدنية المحيطة بالكعبة بحجارة أخرىٰ يصح السجود عليها وفقاً للمذهب الجعفري،وهو أمرٌ في غاية الأهمية يعزز من أواصر الوحدة بين جميع المسلمين.

امام جمعة مكة

كان امام جمعة مكة المكرمة علىٰ درجة كبيرة من الزهد والتقوىٰ والصلاح، وقد بلغ من زهده انه كان يؤدي صلاته ثم يعود الى منزله لايلوي على شيء، فلم يكن ليتحدث الى شخص أو يتوقف في مكان، وكان يُعد من علماء الحجاز المعدودين.

وقد صلّىٰ خلفه السيد بحر العلوم ذات مرّة ثم رافقه في عودته الىٰ منزله، فدعاه امام الجمعة الىٰ بيته وقاده الىٰ مكتبته، فسأله السيد عن الكتب التي توجد في المكتبة، فأجابه امام الجمعة: انها تحوي مالذّ وطاب.

فسأله بحر العلوم عن بعض كتب أهل السنة؛ فأجابه الرجل بالنفي، فقال السيد: ان لأبي حنيفة كتاباً في الرجال، فهل يوجد لديك؟ فقال العالم الحجازي: للأسف انه لايوجد، ولكني رأيته من قبل.

فقال السيد: يقول أبو حنيفة في هذا الكتاب انه تتلمذ علىٰ يد الامام الصادقعليه السلام، وانه كان يتعلم منه سبعين مسألة كل يوم، ثم أردف السيد متعجباً: كم يبلغ اذن علم جعفر بن محمد الصادق لكي يقول فيه رجل مثل أبي حنيفة وكان امام الجمعة يصغي للحديث بصمت.. بعدها نهض السيد بحر العلوم عائداً الىٰ منزله، فرافقه امام جمعة مكة الى منزله حتىٰ اذا وصلا المنزل دعا السيد بحر العلوم صاحبه الى الجلوس قليلاً، فأبىٰ امام الجمعة قائلاً: كان غرضي ان أعرف منزلك.

مرّ على هذا الحادث عام كامل. وذات يوم أرسل امام الجمعة وراء بحر العلوم يدعوه الىٰ الحضور في منزله، فلما حضر وجده يحتضر فجلس عند رأسه وأومأ امام الجمعة الىٰ من عنده بمغادرة الغرفة، فلما خلا المكان تمتم إمام الجمعة: أتذكر يوم وصفت لي الامام الصادق عليه السلام، لقد تشيعت منذ ذلك اليوم ولكني التزمت التقية، والآن وقد حضرت ساعة الموت فقد عهدت اليك بوصيتي فتولَّ غسلي وتكفيني والصلاة عليّ.

وماهي إلا لحظات حتىٰ فارق الرجل الحياة، وقام السيد بوصيته علىٰ

خير وجه، ولكن الخبر كان قد شاع، ولم يكن من السهل على المتعصبين قبول الأمر، فتعاهد الكثير منهم علىٰ قتل السيد حتىٰ لو تعلّق بأستار الكعبة، ولكن الله حماه من كيد الاعداء، فقد تمكن من الفرار ليلاً مع قافلة قادمة من جبل عامل تريد التوجه الىٰ العراق.

عودة الىٰ النجف

فاق السيد في العلوم معاصريه، وكان بحق بحراً للعلوم، فقد حلّت علىٰ يديه مشكلات المسائل الفقهية، وقد بلغ من عظمته وعلوّ شأنه ان الشيخ جعفر كاشف الغطاء كان يمسح حذاء السيد بطرف عمامته، وقد رثاه بأشعار تتفجر لوعةً وحزناً.

درس في تفسير القاضي

كان السيد جالساً وسط تلامذته عندما شاهد من بعيد «الأفندي» وكان من علماء أهل السنة قادماً لحضور درسه، فالتفت السيد الىٰ أحد تلامذته وأمره أن يناوله كتاب (تفسير القاضي) ليكون درساً لهذا اليوم.

وعندما وصل الأفندي حلقة الدرس شرع السيد درسه في التفسير دون مطالعة الكتاب، فتحيّر تلامذته من سعة اطلاعه، وكان درساً مفيداً للجميع بما في ذلك «الأفندي».

ولعلّ مناظرته مع اليهود في قرية «ذي الكفل» بالعراق تلقي ضوءاً

ساطعاً علىٰ عمق شخصيته العلمية واسلوبه في الحوار والاستدلال.

ولقد بلغت شهرته في الآفاق بحيث اقترن اسمه بالتشيع، فـاذا ذكـر أحدهما ذكر الآخر.

قيادة الأمّة

ان قيادة امّة ما تتطلب مواصفات اخلاقية واجتماعية ينبغي ان تتوفر في شخصية القائد لكي يحصل نوع من القناعة أو الحماس ومن ثم الانقياد له.

ومن هنا فلا يمكن ان يكون المستوىٰ الفقهي والعلمي اساساً في ذلك. قد يكون عاملاً أولياً ولكنه لن يكون نهائياً بأي شكل من الاشكال.

ان القيادة كزعامة اجتماعية موهبة فطرية تـعتمد الفـطنة والحكـمة والحس السياسي في حلّ المشكلات وإزالة العقبات التي تعتور الطريق.

ولقد كان بحر العلوم من القلائل الذين أمكن لهم ان يحددوا مساراً أو يعينوا نظاماً يتفق عليه الجميع.

ولذا فاننا نرىٰ انقياداً شعبياً لأفكاره، من عامة الناس.. الىٰ الشخصيات العلمية الكبرىٰ في مستوىٰ الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وهي ظاهرة قلما تحصل لأحد. ولعلّ عمق شخصيته وشفافية روحه، وارتباطه الوثيق بإمام العصر عليه السلام هي السرّ الذي يكمن وراء ذلك الإجلال والاحترام الذي حظي بهما طوال حياته.

ولقد كانت مواقفه وأعماله منعطفاً تاريخياً للحوزة الدينية في القرن الثالث عشر الهجري، وكانت سيرته امتداداً لاستاذه الوحيد البهبهاني.

ومن جملة مواقفه

انه نصّب آية الله الشيخ جعفر كاشف الغطاء للإفتاء والتقليد، وأمر الجميع بما في ذلك أُسرته بالرجوع اليه في مسائلهم الشرعية، كما عين الشيخ شريف محي الدين للقضاء والمحاكم وحلّ الخلافات والنزاعات بين الناس؛ كما عيّن لصلاة الجماعة رجلاً مشهوراً بزهده وتقواه هو الشيخ حسين نجف، وللبحث والتحقيق العالم الكبير السيد جواد العاملي مؤلف كتاب «مفتاح الكرامة» وانصرف هو الىٰ التدريس وزعامة المسلمين.

وتعدّ خطوته في توزيع المسؤوليات رائدة في هذا الميدان وكان لها ثمارها الكبرىٰ للأمة الاسلامية.

لقد كانت رؤيته بعيدة المدىٰ وكان بحق بحراً لاينزف، أدرك آلام امته وسعىٰ الى علاجها وعرف فضله الأعداء قبل الأصدقاء.

أخلاقه

كان بحر العلوم رجل الفضيلة والتقوىٰ وكان نموذجاً لأخلاق الانبياء عليهم السلام، جسّد في حياته وسيرته الطريق الىٰ الله.

كان متواضعاً يحترم الانسان كإنسان، وأباً رحيماً يعطف على الناس،

وكان الناس يشعرون بحبّه ودفء قلبه، فكانوا يتعطشون الىٰ لقائه والحديث معه وينظرون اليه عندما يمشي كأنهم ينظرون الىٰ ملاك يمشي علىٰ الأرض. وكان التلاميذ في دروسه يتحلّقون حوله كفراشات تدور حول شمعة متوهجة بالنور، وبلغت أخلاقه من السمو ان قال فيه تلميذه العبقري «كاشف الغطاء»:

جمعت من الأخلاق كل فضيلة فلا فضل إلا عن جنابك صادرُ[(١)]

ومن لقاه كان كمن لقىٰ ضالته، فلا يفارقه إلا وهو منشرح الصدر يشعر بالفرحة تملأ جوانحه.

وكان مثال المؤمن الذي وسع قلبه الناس جميعاً «الخير منه مأمول والشرّ منه مأمون».

ومن صفاته انه كان قليل الكلام إلاّ في ذكر الله أو بيان مسائل علمية، يغلب عليه الصمت والاستغراق في الذكر، يمشي مطرقاً ويجلس بين الناس كأنه في حالة صلاة، فيداه مسبلتان علىٰ فخذيه، فاذا سُئل رفع رأسه وأجاب وعيناه تفيضان رحمةً، فاذا مشىٰ لايلتفت يميناً ولا شمالاً حتىٰ لو أراد أحدهم مرافقته [(٢)] في الطريق.

وكان علىٰ هذا يهابه الناس، فلم يكن أحد يسأله إلا متهيباً، فاذا أجاب فمتبسماً وافتر عن لؤلؤ منضود. فإن كأن عجز السائل عن بيان سؤاله، اشار

---

(١) الفوائد الرجالية : ص ٣٥ .

(٢) الفوائد الرجالية: ص٣٦.

علىٰ مرافقيه في طرح السؤال.

زهده وتقواه

وفي الزهد بلغ منزلة قلّما يصبر عليها الانسان، أقبلت عليه الدنيا فلم يلتفت اليها، بل أعرض عنها فلم يخطف بصره بريق الحياة الوادعة، ولم يكن ليقيم لها وزناً.

ولو شاء لأكل لباب القمح وارتوىٰ من مصفىٰ العسل ولكنه كان كجدّه علي عليه السلام وكفىٰ به ذلك فخراً. كان طعامه بسيطاً وملبسه بسيطاً وحياته بسيطة، قانعاً بالقليل القليل من الدنيا[1].

اما عبادته فسل عنها مساجد النجف ومرقد أول المسلمين وامام المتقين وسل عنها مسجد الكوفة، كان صوته يتهجد بالدعاء يعبد الله كأنه يراه.

نظم وقته في النهار لأعمال النهار فاذا جنّه الليل انصرف الىٰ المطالعة والبحث والتحقيق، فاذا نامت العيون وهجعت القلوب نهض للقاء السماء بفؤاد خاشع ونفس تتلهف الى لقاء ربّها، وربما انطلق في منتصف الليل ميمماً وجهه شطر مسجد الكوفة، وربما وصل المسجد مع مطلع الفجر...

فاذا دعا الله دعاه كأنه يراه، يشكوه ما ألم بالمسلمين طالباً العون من ربّ العالمين، فتفتح في وجهه أبواب السماوات، ولعلّه لقي امامه الغائب

---

(١) الفوائد الرجالية: ص٣٨.

فيشدّ علىٰ يديه ويطلعه علىٰ آلام المؤمنين ومعاناة الانتظار الطويل.

مع المحرومين

عندما يهبط المساء وتغمر الظلمة الاشياء تحيطها بالاسرار والغموض، وتنام المدينة، يخرج الرجل الذي يخفق قلبه للفقراء والمحرومين، يخترق الأزقة والمنعطفات، يتخطىٰ أبواب الأغنياء ويتوقّف بخشوع أمام منازل الفقراء، كان كجدّه السجّاد عليه السلام شاهد الذين غسلوا جسده الطاهر آثاراً علىٰ ظهره تشبه الجراح العميقة، فسألوا ابنه الباقر عليه السلام عن ذلك، فأجاب: انها من كثرة ما يحمله من الطعام والحطب الىٰ منازل الفقراء.

أجل كانت خطىٰ بحر العلوم ترسم خطىٰ جدّه زين العابدين عليه السلام.

ينقل الشيخ السلماسي ان السيد كان يخرج في جنح الظلام متفقداً فقراء مدينته يحمل اليهم الطعام ويخفف عنهم الآلام.

ذات مساء قدّموا له طعاماً فلم يتناول لقمة واحدة، ثم قال املأوا الصحن، فلما ملأوه حمله وانطلق يجتاز الأزقة الى ان توقف امام منزل صغير كان لعروسين فقيرين باتا دون عشاء. فطرق الباب ودخل وتناول عشاءه معهما[١].

---

(١) قصص العلماء: ص ١٧١.

امتناعه عن التدريس

فجأة يمتنع السيد عن التدريس وتمرّ الأيـام، ويـتقدم التـلاميذ الىٰ الشيخ السلماسي يطلبون منه الاستفسار عن السبب ويمتنع السيد عـن الإجابة.. ومرّة أخرىٰ يلحّ التلاميذ ويعتصم السيد بالصمت ويزداد الحاح الطلاّب فيلح السلماسي علىٰ الجواب، وأخيراً تكلّم بحر العلوم، وقال: اني لأجوس أزقّة المدينة فلا أسمع دعاءً ولا تضرّعاً ولا مناجاة ترتفع من بيت أحدهم.. وانا لن أدرّس طلاّباً كهؤلاء، انهم ليسوا أهلاً لطلب العلم.

وينقل السلماسي الجواب ويتأثّر الطلاب بشـدّة، وفـي تـلك اللـيلة تتصاعد تمتمات الدعاء وهمسات اللقاء مع الله ربّ العالمين. ويستأنف بحر العلوم عطاءه الثرّ من جديد[١].

---

(١) قصص العلماء: ص ١٧٣.

الفصل الثاني

أُسرته

ينحدر بحر العلوم من نسب رفيع اذ يعود الىٰ ابراهيم المعروف بـ «طباطبا» غصن من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، فجدّهم الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

ومن جهة الأُم يعود نسبه الىٰ المجلسيين الأول والثاني [1].

وقد كان ابراهيم طباطبا من أصحاب الامام الصادق عليه السلام، ومن هنا جاء لقبه بـ الطباطبائي الذي عُرف به السيد حتىٰ اقامته في مشهد حيث منحه استاذه لقب «بحر العلوم» الذي اشتهر به فيما بعد وأصبح لقباً لأُسرة عريقة ماتزال حتىٰ يومنا هذا، أنجبت علماء وفقهاء مشهورين [2].

حكّام العراق وايران

عاصر بحر العلوم ملوكاً وحكاماً عديدين، ففي ايران تولّت الأُسرة الافشارية سدّة الحكم، وابتدأت حكمها بالملك «نادر شاه افشار» وذلك

---

(١) الكنى والألقاب: ج ٣ ص ٦٨.

ريحانة الأدب: ج ١ ص ٢٣٤.

(٢) تكملة نجوم السماء: ج ١ ص ٣٠١.

سنة ١١٤٨ هـ واستمرت حتىٰ عام ١١٦٠ هـ ثم تـولّت الأُسـرة الزنـدية عرش السلطنة بزعامة مؤسسها «كريم خان زند» سنة ١١٦٣ هـ وقد خاض حروباً مدمرة مع معارضيه وفي طليعتهم «محمد حسن خان القاجاري» و «آزادگان الأفغاني» ، وقد قهرهم جميعاً ودانت له ايران بأسرها بـاستثناء خراسان حيث كانت تحت حكم الأمير «شاهرخ افشار» سليل الأُسـرة الافشارية.

وفي عهد نادر شاه تمكنت ايران من انتزاع مدينة البصرة مـن قـبضة الدولة العثمانية.

وقد عرف هذا الملك بعدله وحياته البسيطة وحُسن تعامله، توفي سنة ١١٩٣ هـ.

وبعد زوال الأُسرة الزندية حكم القاجار ايران، وكان أول ملوكهم «آغا محمد خان» الذي قتل الأمير الزندي بعد أن فقأ عينيه وذلك سنة ١٢٠٩ هـ وقد لقي الملك القاجاري مصرعه سنة ١٢١١، وعدّه المؤرخون من ملوك ايران الدمويين، وقد شهد العهد القاجاري بداية التغلغل الأجنبي وتوقيع المعاهدات المذلّة مع الروس كمعاهدة «تركمن چان» و «گلستان»، وكذا معاهدة «فينكن شنين» بين ايران وفرنسا[1].

ومن الوقائع المهمة في العهد القاجاري بروز التنافس المـحموم بـين فرنسا وبريطانيا حول ايران. والعدوان الروسي علىٰ الأراضي الايرانـية،

---

(١) وقعها من الجانب الايراني فتح علي شاه ومن الجانب الفرنسي نابليون.

وتصدّع العلاقات بين ايران والدولة العثمانية.

استمر القاجار في الحكم حتىٰ سنة ١٣٠٧ هـ حيث خلع «احمد شاه» آخر ملوكهم وتم ابعاده الىٰ خارج البلاد.

اما العراق فقد كان تحت السيطرة العثمانية، ولقد تعاقبت علىٰ حكم هذه الأرض سلالات متعددة منذ فجر التاريخ، فقد حكم الآشوريون والبابليون وتلاهم الهخمنشيون واليونانيون والفرس الساسانيون والروم البيزنطيون ثم الفتح العربي الاسلامي وأخيراً العهد العثماني.

واذن فقد عاصر بحر العلوم الحقبة العثمانية التي بدأت حكمها سنة ٦٩٩ هـ حتىٰ سنة ١٣٤٢ هـ[1].

---

(١) تعاقب على الحكم ٣٨ سلطاناً ابتداءً من عثمان بن طغرل بك وحتىٰ عبد العزيز الثاني، وفي عهده بدأ صعود «أتاتورك» الذي الغىٰ الخلافة وأعلن قيام الجمهورية.


الفصل الثالث

تلامذته

تربى على أيدي هذا العالم الرباني الكبير علماء كان لهم دور في العالم الاسلامي؛ نذكر منهم:

١ ـ كاشف الغطاء

وهو الشيخ جعفر[1] ابن خضر النجفي ولد سنة ١١٥٤، وترعرع في مدينة بطل الاسلام علي بن أبي طالب عليه السلام، ونبغ في دراسته الدينية وعدّ من أبرز العلماء في مدّة وجيزة؛ وقد أحاط بأكثر مسائل الفقه الفرعية حتىٰ قيل : انه لم يظهر في عصر الغيبة فقيه مثل الشيخ جعفر؛ يدل علىٰ ذلك كتابه الفريد «كشف الغطاء» الذي أشار فيه: لو محيت كل كتب الفقه لكتبتها

---

(١) استبسل في مقاومة الهجوم الوهابي علىٰ النجف سنة «١٢٢١هـ» وانضوىٰ تحت لوائه أهالي المدينة وعلماؤها وحملوا السلاح للدفاع عن المقدسات والأعراض. (ماضي النجف وحاضرها ص ٢١٥ ـ ٣١٩).

من جديد، فكان الفقه خاتماً يديره في أصبعه كيفما يشاء [١].

كانت له مواقف اخلاقية تدلّ على اهتمامه بالناس في الدنيا والآخرة، فقد كان يرهن منزله اذا أراد السفر ويوزع مبلغ الرهن علىٰ الفقراء، فاذا عاد حرّره من الرهن.

وقد أقام مدّة في مدينة رشت [٢] يؤم أهلها في الصلاة، فطلبوا منه ذات يوم ان يعظهم فأجاب: انني لا أُجيد الفارسية، ولما ألحوا عليه قال: ايها الناس ستموتون، الشيخ أيضاً سيموت، واذن فكروا بيوم الآخرة[٣].

وكان يأمر أهله بالصلاة ويوقظهم قبل طلوع الفجر لاداء صلاة الليل، فيناجي السماء متضرعاً الىٰ ربّه ويخاطب نفسه مذكراً: كنت فيما مضىٰ جعيفر فأصبحت جعفرا ثم أصبحت الشيخ جعفر ثم زعيم المسلمين. وهكذا يروّض نفسه لكي لاينسىٰ الانسان نفسه فينساه الله.

وهذا هو ديدن أهل الآخرة، عرفوا الدنيا فأعرضوا عنها وأدركوا الآخرة فهفت قلوبهم نحوها.

وكان الشيخ جعفر كاشف الغطاء واحداً من اولئك المخلصين، قضىٰ حياته في خدمة الاسلام والمسلمين الىٰ ان وافاه الأجل سنة ١٢٢٧ هـ ودفن في مدينة النجف الأشرف.

---

(١) قصص العلماء: ص١٩٨.

(٢) من مدن الشمال الايراني.

(٣) الفوائد الرضوية ص٧٣ ونص ماقاله في الفارسية: ايها الناس شما مى ميريد، شيخ هم مى ميرد، پس فكر روز آخرت باشيد.

٢ ـ السيد محمد جواد العاملي

رجل العلم والجهاد، ولد في قرية «شقرا» من قرى جبل عـامل سـنة «١١٦٤ هـ» وهاجر الى النجف لطلب العلم، فتتلمذ علىٰ يد علاّمتها بحر العلوم؛ وقد الّف كتابه الشهير «مفتاح الكرامة» ابان الغارات الوهابية على مدينة النجف وكربلاء وهو ما اشار اليه في آخر الكتاب من انه أنهىٰ مؤلفه ومدينة النجف يحاصرها الوهابيون.

ينقل صاحب «المستدرك» عن عالم ثقة هو السيد محمد نجل السيد هاشم الهندي، ان السيد جواد العاملي (صاحب مفتاح الكرامة) كان يتناول عشاءه ذات مساء فطرقت الباب وما أسرع ان جرىٰ نحو الباب لأنه يعرف الطارق وكان خادم السيد بحر العلوم وذلك من طريقته فـي دق البـاب، فبادره الخادم قائلاً: ان السيد يدعوك وهو ينتظرك على عجل، فانطلق مع الخادم وما ان رآه السيد قادماً حتىٰ خاطبه بعصبية: أما تخاف الله.. أمـا تستحي منه.

فقال السيد جواد مدهوشاً: ماذا حصل ياسيدنا؟!

فأجابه بحر العلوم متأثراً: ان رجلاً من اخوتك يقترض كل ليلة من بقال محلتكم ما يسدّ رمق عياله من التمر «الزهدي»[1] يبات هو وعياله طاوياً هذه الليلة بعد ان امتنع البقال من اعطائه التمر لتراكم الديون.. وهو جار

---

(١) نوع من التمور العراقية ويعدّ أرخص أنواعها.

لك، منزله يلاصق منزلك.. وانت ترفل بنعمك تأكل وتشرب ناعم البال غير مكترث لجارك فلان.

أجاب السيد جواد معتذراً: والله اني لغافل عن حاله.

فقال السيد بحر العلوم: ولو كنت مطّلعاً على حاله لكنت يهودياً أو كافراً.. وان مصدر غضبي انك غافل عن حال اخوانك فلا تسأل عنهم...

سكت السيد هنيهة ثم أردف: احمل هذه الصينية وانطلق مع الخادم وتناول عشاءك معه، ثم ارجع اليّ فوالله لن آكل طعامي حتى يشبع ويرتوي، وخذ اليه هذه الصرّة من المال ودسّها تحت حصيره.

وانطلق السيد جواد نحو منزل جاره وطرق عليه الباب وبادر قائلاً: أحببت أن أتناول عشائي في منزلك.

فلما استقر به المقام أدرك الجار ان سرّاً في الموضوع، فظاهر الطعام يوحي بذلك فقال للسيد: ان لهذا الطعام قصة، والله لن آكل حتىٰ تحدّثني بقصّته.

وأمام اصراره اضطر السيد ان يسرد الحكاية من أولها الىٰ آخرها. فقال الجار متعجباً: والله ان جيراني لايعرفون بذلك، فمن أين علم السيد بحر العلوم بحالي؟ ان هذا الرجل لعجيب.. فبقي الجاران في حيرة من أمرهما.

الوهابيون

ظهرت الوهابية في أواخر القرن الثاني عشر ومطلع القرن الثالث عشر الهجري، وزعيمها كما هو معروف محمد بن عبد الوهاب الذي ولد سنة

١١١٥ وتوفي سنة ١٣٠١ هـ، والوهابية اسم اطلقه المعارضون لها وعرفت فيه عالمياً. أما هم فيدعون أنفسهم بالموحدين، فيما يقذفون غيرهم من الطوائف الاسلامية بالشرك والانحراف والضلال، ولهذا فهم يدعون المسلمين بالعودة الى حياة السلف الصالح ونبذ البدع، اما مذهبياً فيحسبون علىٰ اتباع الامام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ.

وقد نصب محمد بن عبد الوهاب نفسه بمنزلة النبي وولياً للأمر واجب الطاعة، وعدّ زيارة القبور بما في ذلك قبر النبي والائمة الأطهار عليهم السلام عبثاً بل شركاً وان من يفعل ذلك سيكون مشركاً يستوجب قتله، وهكذا فقد عدّوا أنفسهم وحدهم موحدين مسلمين فيما اعتبروا الامة الاسلامية كلّها امّة مشركة بعيدة عن روح التوحيد.

ولم يتشكل للوهابية كيان سياسي إلا بعد ان انضوىٰ تحت لوائها محمد بن سعود وحفيده عبد العزيز، فظهرت لها زعامة سياسية في نجد سنة ١١٤٢ هـ.

على ان الجذور الحقيقية للوهابية تعود الى «ابن تيمية» الذي عاش في القرن السابع الهجري.

وبدأ الوهابيون غاراتهم في الحجاز والعراق واشاعوا الذعر في المدن والقرى بارتكابهم مذابح وحشية يندى لها جبين الانسانية، فقد بلغت غاراتهم على مكة خمسين غارة في عهد الشريف غالب ما بين سنة ١٢٠٥ هـ، حتى سنة ١٢٢٠ هـ، وعطلوا الحج مدّة ثلاث سنين، وأغاروا على مدن النجف وكربلاء في العراق مرّات عديدة، وكانوا لايتورعون عن القتل

والنهب وارتكاب أعمال لا يقوم بها سوى البرابرة المتوحشين.

ولقد انبرىٰ السيد جواد شأنه في ذلك شأن ابناء العراق الى الدفاع والاستبسال لردّ الغارات العدوانية التي تستهدف أعراض ومقدسات المسلمين، لقد أُريقت دماء كثيرة وارتكبت مذابح لا حصر لها؛ وكانت الرياح الصفراء تلك لم تستهدف سوى الكيان الشيعي، حتى لقد سويت قبور أئمة أهل البيت بالتراب.

وفي عام ١٢١٦ هـ بدأت هجماتهم على الحرم الحسيني في كربلاء وأعقب ذلك موجة أخرىٰ من الاعتداءات سنة ١٢٢١ هـ على مدينة النجف، وكادت تسقط المدينة بأيديهم ولكن الله سبحانه دحرهم، وتحمل المعتدون خسائر جسيمة.

وقد اشار صاحب «مفتاح الكرامة» الى حملات الوهابيين على النجف سنة ١٢٢٢ هـ فقد قاد سعود جيشاً يبلغ العشرين ألفا مستهدفاً مفاجئة النجف واقتحامها.

ولكن الاخبار تصل ويستعد أهالي المدينة للمقاومة فتقام المتاريس وتحفر المواضع استعداداً للمواجهة... ويقرر الوهابيون الاتجاه الى الحلة التي تحصنت هي الأخرىٰ لردع المعتدين فيتجه صوب كربلاء التي حاصروها مدّة ثم انسحبوا عنها [1].

---

(١) مجمع التواريخ: ص ١٥٠.

٣ ـ الملاّ أحمد النراقي

وهو مؤلف الكتاب المعروف «معراج السعادة» ولد في مدينة كاشان [١] سنة ١١٨٥، وكان معلّما للأخلاق، درس مدّة على يد والده الملاّ مهدي النراقي صاحب كتاب «جامع السعادات» ثم غادر ايران الى النجف وانتظم في حوزتها العلمية وتتلمذ لدى العلاّمة بحر العلوم، ثم عاد الى وطنه وأصبح من علمائها المعروفين، وتصدى للتدريس بعد رحيل والده واذا كان الأثر يدلّ علىٰ المؤثر فان كتابه الأخلاقي «معراج السعادة» يكفي في رسم ملامح شخصيته السامية، وعرف عنه رفضه للظلم وتصديه للظالمين، فقد سعى في طرد حاكم كاشان في عهد السلطان فتح علي شاه.

واستدعاه السلطان الى البلاط وعنّفه قائلاً:

إنك كثير الإخلال باوضاع البلاد، تطرد الحكام، كلما أردت.فلم يرد الملاّ أحمد النراقي سوى ان رفع يديه الىٰ السماء وهتف خاشعاً:

اللّهم ان هذا السلطان الظالم نصب من قبله علينا، حاكماً ظالماً... فرفعت الظلم عن عبادك.. فغضب هذا الظالم مني، اللّهم...

كان الموقف مؤثراً جدّاً حتى ان السلطان نهض من مجلسه وأنزل يدي الملاّ ومنعه من الدعاء ثم اعتذر اليه وعيّن والياً جديداً يحظىٰ برضاه [٢].

---

(١) على بعد ٢٢٠ كم جنوب طهران تشتهر بحياكة السجاد ـ المترجم.

(٢) قصص العلماء: ص ١٣٠.

وقد انتقل هذا العبد الصالح الى الرفيق الأعلىٰ سنة ١٢٤٥ هـ ودفن جثمانه في مدينة النجف الأشرف الىٰ جانب قبر والده.

وهكذا كان شيعة أهل البيت: يتحدّون الظالمين غير عابئين بجبروتهم ويستمدون قوّتهم في ذلك من المبادئ التي آمنوا بها.

٤ ـ محمد باقر الشفتي

ولد هذا العالم الكبير سنة ١١٧٥ هـ في قرية «جـزره» احدىٰ قرى الشمال الايراني وهي من توابع مدينة «طارم»[1]، انتقل الى مدينة «شفت» وهو في السابعة من عمره ثم غادرها بعد مدة الى العراق وسكن مدينة النجف، وفي عام ١١٩٢ تتلمذ لدى استاذه بحر العلوم، وبعد ان طوى مراحل مختلفة من الدراسة انتقل الىٰ مدينة «الكاظمية» ومنها الىٰ «قم»، ثم الى كاشان حيث درس عند المرحوم النراقي مدّة قبل ان يتجه الى اصفهان حيث اشتغل في التدريس هناك.

لقد بلغ الشفتي منزلة كبيرة وكان وحيد عصره في التقوىٰ والصلاح.

ينهض في منتصف الليل، والناس نيام، فيلجأ الى مكتبته التي تتحول الى محراب فيتضرع الىٰ ربّه بصوت يشبه نوح الحمام، أو كفراشة تدور حول شمعة متوهجة بالنور. فيبقىٰ حتىٰ الصباح ينتحب ويبكي وتجري الدموع على خدّيه، وطالما استيقظ جيرانه على صوت بكائه وأنينه.

---

(١) تشتهر بزراعة أجود أنواع الرز في العالم ـ المترجم.

فسقط فريسة المرض، ومنعه الأطباء من البكاء حتىٰ ان البعض كان يمتنع من ذكر مصائب أهل البيت أمامه خوفاً عليه.

عاش في النجف الأشرف حياة دون مستوىٰ الفقر بكثير، وطالما بات لياليه جائعاً[١]؛ ولقد كانت بينه وبين «الكلباسي» صداقة عميقة، وقد زاره الأخير ذات يوم فاصطدم بحالته المزرية، وكان الشفتي وقتها في غيبوبة من شدّة الجوع فجاءت زيارته في وقت مناسب، وكان السيد بحر العلوم على اطّلاع كامل بحاله فألحّ عليه ان يأتي منزله لتناول الطعام معاً، وكان الشفتي يرفض في كل مرّة، وكان بحر العلوم يزداد الحاحاً؛ فحسم الشفتي الأمر ذات مرّة قائلاً:

سوف اغادر النجف اذا اصررت على ذلك[٢].. وعندها لم يجد استاذه بدّاً من الصمت..

ويحكىٰ عنه انه اشترى ذات يوم قطعة كبد لأنها أرخص من اللحم وحملها الى منزله فمرّ بخربة فرأىٰ فيها كلبة مع جرائها وكانت حالتها توحي بالجوع فرمىٰ قطعة الكبد للجراء وعاد الى منزله فارغ اليدين[٣].

وينقل عنه انه كان مشغولاً ببناء مسجد، فمرّ به السلطان فتح علي شاه وخاطبه قائلاً:

ألا تشركنا معك في بناء المسجد؟ انه مسجد كبير ولا أظنك قادراً على

---

(١) مستدرك الوسائل: ج ٣ ص ٣٨٧.

(٢) قصص العلماء: ص ١٣٨.

(٣) قصص العلماء: ص ١٤٩.

اتمامه لوحدك.

فرفض الشفتي قائلاً:

انني أنفق من خزائن ربي.

فلم يجد شاه القاجار ما يقوله فسكت [١].

ومن خصائص شخصيته انه كان حريصاً على تنفيذ حدود الله، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وكان يهتم بالفقراء، افتتح لهم دكانين أحدهما يبيع لحماً وآخر خبزاً وباسعار زهيدة. انتقل الىٰ رحمة الله سنة ١٢٦٠ هـ في مدينة اصفهان.

٥ ـ سيد يعقوب الكوكمري

ولد سنة ١١٧٦ هـ وتتلمذ على يد العلاّمة بحر العلوم، وكان معروفاً ببلادته حتى انه لم يكن ليفهم من دروس السيد شيئاً، وذات ليلة رأىٰ نفسه في المنام يشكو ذلك لأمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال له الامام: قل بسم الله الرحمن الرحيم، فاستيقظ وهو يردد البسملة..

وعندما حضر درس السيد بحر العلوم ذلك اليوم كان يورد الاشكال تلو الاشكال على استاذه فقال له السيد: ان الذي علمك البسملة علمني «ولاالضالّين».

فسكت السيد يعقوب، وأردف السيد:

---

(١) قصص العلماء: ص ١٤٠.

ان واجبك هو ان تتوجه الى مدينة «خوي»[١] مركز الصوفية، لتنقذ أهلها من الضلال.

وهكذا شدّ الكوكمري الرحال صوب «خوي» حيث نزل فيها واشتغل في التدريس حتى وفاته سنة ١٢٥٦ هـ فدفن فيها، وما زال أهلها يتبركون بزيارة مرقده خاصة في يومي الخميس والجمعة، اذ يقصده الزوار من خارج المدينة وداخلها، يذبحون عنده القرابين زلفىٰ الىٰ الله سبحانه.

تلامذة آخرون

٦ ـ السيد صدر الدين العاملي: وكان شاباً يحضر درسه وينهل من فيض بحره، توفي سنة ١٢٦٣ هـ

٧ ـ السيد دلدار علي النقوي: ولد سنة ١١٦٦ هـ في «نصير آباد» في الهند، وهو من أصل ايراني، إذ ينحدر اجداده من مدينة سبزوار في اقليم خراسان بايران.

وفي سنة ١٢٠٠ هـ، وفي مناسبة البعثة النبوية الشريفة، أمّ الشيعة بالهند في أول صلاة للجمعة تقام لهم. توفي سنة ١٢٣٥ هـ، ودفن في حسينية كان

---

(١) من مدن اقليم آذربيجان غرب ايران، مشهورة بمحاصيلها الزراعية، ومناخها المعتدل، وتعدّ ثقافياً من المدن العريقة، وكانت تدعى «دار المؤمنين» واليها ينتسب علماء عديدون منهم الخوئي / صاحب شرح نهج البلاغة، والخوئي السيد ابو القاسم المرجع الشيعي الأعلىٰ في العراق.

قد بناها في مدينة «لكهنو».

٨ ـ الشيخ محمد ابراهيم الكلباسي: ولد سنة ١١٨٠ هـ وكان من تلامذة السيد بحر العلوم أقام في النجف مدّة ثم رحل الى قم حيث درس على يد الميرزا القمي مدّة ومن ثم سافر الى اصفهان حيث اشتغل في التدريس والإرشاد هناك؛ توفي سنة ١٢٦٢ هـ ودفن الى جانب مسجد الحكيم[١].

٩ ـ زين العابدين السلماسي الكاظمي: وكان يعدّ من ملازمي السيد بحر العلوم وخاصّته، واليه تعود معظم المرويات عن كراماته، كان رجلاً تقياً معروفاً بالصلاح.

وقد حظي بلقاء إمام العصر عليه السلام واليه يعود بناء القبة المباركة في مدينة سامراء، توفي سنة ١٢٦٦ هـ ودفن في مدينة الكاظمية في مقبرة الشيخ المفيد[٢].

١٠ ـ الشيخ عبد الحسين الاعم: (١١٧٧ ـ ١٢٤٧ هـ).

١١ ـ السيد علي بن السيد محمد (١١٦١ ـ ١٢٣١ هـ).

١٢ ـ السيد قيصر محمد نجل معصوم الرضوي الخراساني (١١٨٠ ـ ١٢٥٥ هـ).

١٣ ـ اسد الله الكاظمي: المتوفى سنة ١٢٣٤ هـ

١٤ ـ ابو علي الحائري: صاحب منتهى المقال. (١١٥٩ ـ ١٢١٦هـ) وهو

---

(١) قصص العلماء: ص١١٨ ـ ١١٩.

(٢) أعيان الشيعة: ج٧ ص١٦٧ ـ معارف الرجال: ج ٢ ص ٥٩.

أول من سجّل ترجمة لحياة السيد بحر العلوم في كتابه.

١٥ ـ عبد الله شبر: المتوفىٰ سنة ١٢٢٢ هـ

١٦ ـ محمد تقي الاصفهاني: صاحب حاشية المعالم: توفي سنة ١٢٤٨ هـ

١٧ ـ السيد مجاهد: صاحب كتاب (المناهل) توفي سنة ١٢٤٢ هـ

١٨ ـ محسن الأعرجي: المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ

١٩ ـ محمد مهدي النراقي: المتوفى سنة ١٢٠٩ هـ

٢٠ ـ السيد صادق الفحام: توفي سنة ١٢٠٤ هـ وكان استاذاً لبحر العلوم في الأدب.

٢١ ـ ميرزا محمد عبد الصانع النيسابوري.

٢٢ ـ الشيخ حسين نجف.

ونكتفي بهذا القدر من اسماء تلاميذه ومريديه [١].

مناظراته مع اليهود

يورد السيد جواد العاملي صاحب كتاب (مفتاح الكرامة) في رسالة مستقلة مناظرات استاذه بحر العلوم مع اليهود في إحدى القرى العراقية.

ففي شهر ذي الحجة سنة ١٢١١ هـ عزم السيد زيارة كربلاء، فغادر مدينة النجف مستقلاً النهر فمرّ بقرية «ذي الكفل» وهي قرية يقطنها ثلاثة آلاف يهودي؛ وكان يرافق السيد في رحلته كوكبة من تلامذته ومريديه.

---

(١) شعراء الغري: ج ١٢ ص ١٣٩ ـ ١٥٩ ـ الفوائد الرجالية: ص ٦٧ ـ ٧٠.

وعندما سمع اليهود خبر قدوم السيد خفّوا لاستقباله في خان على الطريق كان السيد قد أمر بترميمه.

وقد أظهر اليهود احتراماً وأدباً كبيرين في لقائهم إيّاه حيث استقبلهم السيد بحرارة وترحيب وكان بين الوفد اليهودي اثنان من علمائهم هما داوود وعزرا.

وتحدّث داوود حول موضوعات في التوراة فسأله السيد:

ـ ألا يوجد في التوراة اختلاف؟

ـ كلا.

ـ كيف؟ ونحن نرى ثلاثة فرق تنقسم عن كل فرقة منها فرق عديدة؟ حتى ليصل عددها الى واحد وسبعين فرقة! ومن بينها فرقة السامري، وفي أيديهم توراة تختلف عن توراتكم.

ردّ اليهودي:

ـ نعم هذا صحيح.. ولكنا لاندري من أين تنبع هذه الاختلافات وفي الأصل اتفاق بين الجميع.

قال بحر العلوم:

ـ وكيف لا يوجد اختلاف؟ وهل ان التوراة في أيديكم هي التوراة الذي أُنزل على موسىٰ؟

ـ أجل هو نفسه كتاب الله بلا زيادة ولا نقصان.

ـ كيف تزعمون انه كتاب الله وفيه من الأمور مايستقبح ذكره، بل وفيه مايوجب تكفيرهم، حيث نجد ما ينسب صناعة العجل لهارون، وعبادته له.

اعتصم اليهود بالصمت، فقال السيد متسائلاً:

ـ هل شرّع الله لكم الصلاة أم أعفاكم عنها؟

ـ أبداً، الصلاة في صميم جميع الأديان.

ـ لكنني لا أجد لكم صلاة في الاسفار الخمسة كلّها؟

ـ ان صلاتنا مستوحاة من كلمات التوراة.

ـ أنا لا أتحدّث عن الدعاء، بل حديثي عن الصلاة أركانها أجزائها وأوقاتها.. الصلاة التي تؤدونها الآن قبل الصباح وفي العصر والعشاء وتسمونها اسماء مختلفة مثل «تفلاه شجربت» و «تفلاه منحا» و «تفلاه عرب» وتتجهون فيها الى بيت المقدس.

واستطرد السيد في حديثه:

ـ بل بأي دليل تتجهون الى بيت المقدس في صلاتكم، والهيكل لم يبن الاّ في عهد داوود ولم ينته العمل به الاّ في عهد سليمان.. ومابين موسى وسليمان عليهما السلام خمسمئة عام، فكيف كان يصلّي موسىٰ والأنبياء من بعده الىٰ سليمان!!

واذن فان صلاتكم هذه وحجكم هي من اختراعاتكم انتم، واذا كان لديكم دليل على خلاف ذلك فهاتوه.

قال اليهود:

ـ ان صلاتنا من تعاليم الأنبياء.

لا أصل ولا أساس لكلامكم، فالأنبياء الذين جاءوا من بعد موسىٰ كانوا على شريعة موسىٰ عليه السلام ولم يأتوا بدين جديد، وهم لم يضيفوا أو

يحذفوا من التوراة شيئاً، وان ما يرد في التوراة من جهالات هي من صنع الذين لايخافون ربّهم... وكيف يسوغ لعلمائكم ان يفسروا التوراة بخلاف شريعة موسى، وكيف يدّعون ان صلاتهم وحجهم هي ما شرعه الأنبياء؟!

ومرّة أخرىٰ لاذ اليهود بالصمت المطبق وبقوا في حيرة من أمرهم، قال أحد اليهود متداركاً:

ـ اننا لانقول بوجود الصلاة في عهد موسىٰ ولسنا ملزمين بالصلاة.

ـ سبحان الله. ألم تعترفوا قبل قليل بأن الصلاة من صميم جميع الأديان! فكيف لايوجد في شرع موسىٰ صلاة، وكانت شريعته من أعظم الشرائع؟!

ـ أنتم المسلمون أيضاً لا توجد في قرآنكم الصلاة التي تؤدونها كل يوم، فمن أين جئتم بها؟

ـ ان أمر الصلاة موجود في القرآن، وقد بيّن طريقتها رسول الله ﷺ .. في حين ان صلاتكم لا أثر لها في التوراة ولا في شرائع الأنبياء بعده.

قال أحد كبارهم:

ـ لماذا لاتعملون بالتوراة وهي ما أنزل الله.. والقرآن يصرّح: ﴿ومن لم يعمل بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[1].

أجاب بحر العلوم:

ـ لقد ثبت لنا ان الدين الذي جاء به محمد ﷺ نسخ جميع الأديان التي جاءت قبله، على ان بعض احكام ديننا يوجد لها شبيه بما جاء في

---

(١) المائدة: ٤٤.

ـ لقد ثبت لنا ان الدين الذي جاء به محمد ﷺ نسخ جميع الأديان التي جاءت قبله، على ان بعض احكام ديننا يوجد لها شبيه بما جاء في التوراة كالقصاص مثلاً، ولكننا لا نعمل بهذه الأحكام لأنها جاءت في التوراة بل لأنها وردت في القرآن الكريم.

اذا كنتم تنشدون الحق فان في هذا برهانا ودليلا واتماما للحجة عليكم، ولكني أعظكم يامعشر اليهود ان الدين ليس ارث الآباء والأجداد حتىٰ تتعصبوا له. الدنيا الى زوال وفناء، واللبيب من يختار طريقه على بيّنة ودليل وبرهان، وليس من المعقول ان تكون الأديان كلّها على حق. هناك دين واحد فقط يمثل طريق الحق المبين، وما على الانسان إلاّ ان يبحث عنه، وان الله سيحاسب الانسان على ذلك، فلا عذر لمن قال ورثت ديني عن آبائي وأجدادي.

قال أحدهم:

ـ ان ايماننا بموسىٰ جاء لأننا رأينا المسلمين يؤمنون به، والنصارىٰ، في حين نرى اختلافاً في الايمان بعيسىٰ ومحمد.

قال بحر العلوم:

ـ ان ايماننا بموسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام لأن القرآن صدق نبوتهما، وإلاّ لم نعتقد بهما.

انبرىٰ شاب منهم، وقال:

ـ أرجو ان تلتفت الىٰ أمر في غاية الدقة.

ـ تفضل.

ـ لقد جاء في التوراة ان الله سيبعث نبياً من أبناء اخواننا لا من ابـناء اسماعيل والحال ان محمداً من ذرية اسماعيل.

ـ ليس الأمر كما تقول، لقد ورد في التوراة في السِفر الخامس في الفصل الثاني عشر، ان الله سبحانه أوحىٰ الى موسى بانه سيبعث نبيّاً من أبناء أخوانهم، فليؤمن به بنو اسرائيل ويطيعوه. ولاريب ان أولاد اسماعيل اخوة ليعقوب أو اسرائيل. ويعقوب هو ابن اسحاق ابن ابراهيم الخليل، وان اسماعيل هو ابن ابراهيم، واذا فالمراد من أخوة يعقوب هو اسماعيل؛ ونبينا ﷺ من ذرية اسماعيل. فسكت عُزير وتغيّر وجهه.

قال أحد اليهود:

ـ ان لموسىٰ معجزات وكرامات.

ـ هل شهدتم معجزات موسىٰ؟

ـ كلا.

ـ لقد سمعتم بمعجزات نبينا فلم تصدقون معجزات موسى وتكذبوان معجزات محمد، وموسىٰ قبل محمد بمئات السنين.

يامعشر اليهود لو سألكم ابراهيم عليه السلام: لِمَ تركتم ديني وآمنتم بموسىٰ فماذا كنتم قائلين له؟

قال اليهود:

ـ كل نبي يمحو دين من قبله من الأنبياء.

ـ فاذا سألكم محمد ﷺ لِمَ لاتؤمنون بي وقد بُعثت بعد موسىٰ عليه السلام وجئتكم بكتاب خالد الىٰ يوم القيامة، فماذا أنتم مجيبون؟

ـ أنت كبير اليهود، فهل فكّرت يوماً أن تبحث عن الدين الحق.

أجاب اليهودي:

ـ الحق انني لم أفكر أبداً في ذلك.. ولكن من الآن سأبحث في دين محمّد وسأخبرك فيما بعد. وأورد صاحب «مفتاح الكرامة» ان مناظرة السيد مع الوفد اليهودي اسفرت فيما بعد عن ايمان اليهود بالاسلام وانه قد حَسُنَ اسلامهم.

الفصل الرابع

آثاره

لا يمكن للآثار والمؤلفات التي خلّفها بحر العلوم ان تعكس عمق شخصيته العلمية، ومنزلته الفكرية السامية، فنشير هنا الى بعض آثاره المطبوعة والمخطوطة:

١ ـ المصابيح في الفقه: وهو في ثلاثة مجلدات.

٢ ـ الفوائد في الأصول (مطبوع).

٣ ـ مشكاة الهداية.

٤ ـ الدرة النجفية: رسالة مشهورة في الفقه، وهي فريدة من نوعها، وقد طبعت مرّات عديدة وكتبت حولها شروح مختلفة.

وهي منظومة شعرية تضم مسائل الفقه، وقد عدّها مؤلف «الجواهر» نصوصاً معتمدة في الاستدلال. ومن الشروح المعتبرة حول الكتاب يمكن الإشارة الى «المواهب السنية» وهي بقلم محمود الطباطبائي البروجردي.

٥ ـ رسالة في الفقر والغنىٰ وهي مدرجة في كتابه (المصابيح).

٦ ـ رسالة في العصير الزبيبي.

٧ ـ شرح الوافية؛ في علم الاصول.

٨ ـ رسالة في مناظرة يهود ذي الكفل.

٩ ـ تحفة الكرام في تاريخ مكة وبيت الله الحرام.

١٠ ـ مناسك الحج.

١١ ـ قواعد الشكوك.

١٢ ـ مبلغ النظر في حكم قاصد الأربعة في السفر، وهي مدرجة في كتاب الصلاة (مفتاح الكرامة).

١٣ ـ حاشية على كتاب الطهارة في «الشرايع».

١٤ ـ اجوبة عن مسائل الحج.

١٥ ـ حاشية علىٰ ذخيرة السبزواري.

١٦ ـ الدرة البهية في نظم رؤوس المسائل الاصولية.

١٧ ـ رسالة في انفعال الماء القليل.

١٨ ـ كتاب الرجال المعروف بالفوائد الرجالية، وهو كتاب قيّم، ولقد ظل هذا الكتاب معتمداً لدى الذين يهتمون بعلم الرجال، وعدّ من الكتب الفريدة، وقد طبع مرّات عديدة.

١٩ ـ ديوان يضم اشعاره وهو بخط السيد نفسه.

٢٠ ـ رسالة باللغة الفارسية حول معرفة الله تحت عنوان «سير و سلوك»[١].

---

(١) يرفض البعض نسبة الكتاب للعلامة بحر العلوم.

أشعاره

امتاز بحر العلوم بشاعرية فياضة وذوق أدبي رفيع، تشهد بذلك كتبه العلمية التي صبّها في قالب شعري مؤثر.

يقول في رثاء سيد الشهداء الحسين عليه السلام:

الله أكبر ماذا الحادث الجللُ	وقد تزلزل سهل الأرض والجبلُ
ماهذه الزفرات الصاعدات اسىً	كأنها من لهيب القلب تشتعلُ
كأن نفخة صورالحشر قد فجئت	فالناس سكرىٰ ولا سكر ولا ثملُ

ومن جملة أشعاره، ما أنشده جواباً على اشعار كان قد بعثها اليه النراقي صاحب «جامع السعادات»:

يقول النراقي:

ألا قل لسكان دار الحبيب	هنيئاً لكم في الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضاً	فنحن عطاشىٰ وأنتم ورود

فأجابه بحر العلوم بأبيات مؤثرة:

ألا قل لمولىٰ يرىٰ من بعيد	ديار الحبيب بعين الشهود
لك الفضل من شاهد غائب	علىٰ شاهد غائب بالصدود
فنحن على الماء نشكو الظماء	وفزتم على بعدكم بالورود[1]

---

(١) الفوائد الرجالية: ص ٧٤.

آثاره الاجتماعية

عاش بحر العلوم حياته في قلب المسؤولية، وكانت الأمّة وهمومها ومصالحها همّه الدائم،واضعاً نصب عينيه منهجه الاصلاحي في كل نواحي الحياة، وكانت له مواقف مجيدة في كل ذلك منها:

١ ـ احداث زيادة في ارتفاع جدران مسجد الكوفة، لكي يكون في مأمن من ويلات الحرب والدمار[١].

٢ ـ تعيين مقام الحجة بن الحسن العسكري في مسجد السهلة، وبناء قبّة جميلة مزيّنة بالكاشي الأزرق، وقد تمّ هذا بعد تشرفه بلقاء الامام[٢].

٣ ـ احداث ترميمات هامّة في جدران وصحن المرقد العلوي الطاهر، وقد كتب السيد حينها رسالة الى ملك ايران آنذاك فتح علي شاه لتغطية نفقات العمل فاستجاب الأخير علىٰ الفور.

٤ ـ اصلاحات في مسجد الطوسي في النجف الأشرف سنة ١١٩٨.

٥ ـ مكتبة ضخمة (سميت باسمه) تضم مخطوطات نفيسة مزيّنة بالذهب والجواهر.

٦ ـ تحديد مكان «مسجد الرأس» (رأس الحسين عليه السلام) في النجف الأشرف، وقد اسرّ الى بعض أصدقائه بأن هذا الموضع هو أحد المواضع

---

(١) تاريخ النجف: ص ١٨١.

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ص ٩٥.

التي وضع فيها الرأس الشريف قبل حمله الى دمشق.

٧ ـ تحديد قبر المختار الثقفي الثائر الشيعي المعروف،وهو الآن يعرف بقبر مسلم.

٨ ـ تحديد قبر هود وصالح عليهما السلام في الجهة الشمالية من مدينة النجف، وهو الآن من المراقد التي يؤمها الزوار تبركاً[١].

وقد بنيت في البداية من الجص والآجر،ثم قام أحد الايرانيين بإعادة بنائها بالمرمر والرخام.

والمكان الذي حدّده السيد يبعد عن المكان السابق بعشرات الأمتار حيث «وادي السلام»[٢].

٩ ـ توسيع مساحة الحرم الطاهر الى ما هي عليه اليوم، واستحداث بعض المرافق الهامّة حول الحرم لخدمة الزوّار.

اضافة الى تحديد أمكنة بعض القبور الطامسة للأولياء الصالحين من ابناء وأحفاد الأئمة الطاهرين..

والسعي لتحديد جهة القبلة بشكل دقيق، وبالطبع فان مثل هذه الأعمال تحتاج الى بحث وتحقيق ونفس علمي طويل.

---

(١) ماضي النجف وحاضرها: ج١ ص٩٦.

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ج١ ص٢٤٦.

الفوائد الرجالية: ص٩٦.

كراماته

بلغت منزلته في القلوب ان قال فيه بعض أهل السُنة «لو كان حقّاً ما يقول الشيعة الامامية في مهدوية ولد الامام العسكري عليه السلام لكان هذا السيد المهدي هو ذلك الامام القمقام»[1].

والى القارئ الكريم بعض كرامات هذا السيد العظيم.

قصّة السرداب

وهذه القصّة يرويها السيد مرتضى الطباطبائي وهو من المقربين للسيد بحر العلوم ومن الذين رافقوه طويلاً يقول:

كنت في رفقته عندما توجّه السيد الى مدينة سامراء لزيارة مراقد الأئمة هناك، وكان لكل منّا حجرة ينام فيها بمفرده، وكانت حجرتي تجاور حجرته، وكنت لا أغفل عن مراقبته وحراسته وكان الناس يجتمعون عنده ليلاً يتطلعون الى وجهه النوراني،وينهلون من فيض روحه المفعمة بالايمان.

وذات ليلة بدا السيد والناس حوله كطائر في قفص، ينشد حريته، فهو يقفز من جانب الىٰ آخر، وبان على وجهه الضيق، متلهفاً الى الخلوة بنفسه. وكان يتحدّث باقتضاب،كمن يريد ان ينهي الحديث بسرعة، حتى اذا

---

(١) روضات الجنات: ج٧ ص٢١٣. شعراء الغري: ج١٢ ص١٣٣.

تفرّق الناس ولم يبق من أحد سواي، أشار عليّ بالانصراف، فذهبت الىٰ حجرتي، مفكّراً في شأن هذا السيد الكبير، ولم يراودني النوم تلك الليلة، فخرجت من حجرتي متسللاً لأنظر ما يفعل السيد في مثل هذا الوقت.

كان الباب مغلقاً فنظرت من خلال شق صغير وكان السراج مضيئاً والحجرة خالية، فدخلت وأدركت من هيئتها ان السيد قد ذهب الى مكان ما، فانطلقت وراءه حافياً، ذهبت أولاً الى الصحن الشريف، وكانت أبواب الحرم الطاهر للامامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام مغلقة، فجست الأطراف هنا وهناكَ فلم أعثر له على أثر؛ وهنا فكّرت أن أدخل السرداب فرأيت الابواب مفتوحة، فنزلت درجات السلّم بهدوء دون أن يصدر مني صوت، وهنا تناهت اليّ همهمة من داخل السرداب، كما لو ان شخصاً يتحدّث الى شخص آخر، فنزلت درجات ثلاث أو أربع ثم تقدمت بهدوء، فجأة جاءني صوت السيد بحر العلوم قائلاً: ماذا تفعل هنا ياسيد مرتضىٰ؟ لماذا غادرت حجرتك؟

فتسمرت في مكاني كالخشبة، ثم اعتذرت اليه، وانا أتقدم الى داخل السرداب، فرأيت السيد وحيداً مستقبلاً القبلة، ولم أعثر على أثر لشخص آخر، فعرفت انه كان يتحدّث الى شخص ما ولعلّه ذلك الغائب عن العيون الىٰ ان يأذن الله[1].

---

(١) منتهىٰ الآمال: ج٢ ص٥٤٨.

سكوت في الصلاة

ويروي الشيخ السلماسي: ان السيد كان يصلّي المغرب في جمع من أصحابه ومريديه، وكنت واقفاً خلفه تماماً، ولما تشهّد وقال السلام علينا سكت، فظننت انه سها عن اتمام التسليم.. ومرّ على سكوته مدّة ثم قال: السلام عليكم.. الى آخره. ولم يكن أحد ليجرؤ علىٰ سؤاله عن سرّ سكوته لهيبته.

ويمضي السلماسي في روايته قائلاً: فتعاهدت مع رفيق لي ألاّ نتعشىٰ حتىٰ يحدّثنا السيد عن سرّ ذلك السكوت العجيب.

وكان رضوان الله عليه يضيق بمن يحضر مائدته، ولا يشاركه طعامه فيظل يلح عليه الى ان يتناول معه الطعام.

فلما مدّ الخوان وأعدّ العشاء، قال السيد تفضلوا، فامتنعنا قائلين: حتىٰ تحدّثنا عن سرّ سكوتك في الصلاة..

فقال السيد: كلوا أوّلاً وسأحدّثكم، فتناولنا عشاءنا، ثم شرع السيد يحدّثنا: لمّا سلّمت السلام الأول رأيت إمام العصر (أرواحنا له الفداء) وقد جاء لزيارة أباه وجدّه، فانعقد لساني لهيبته وبقيت مشدوهاً، لا أنا استطيع ان أنهض ولا استمر في الصلاة الى ان فرغ الامام من الزيارة وغادر الحرم وعندها سلمت السلام الثاني[1].

---

(١) قصص العلماء: ص ١٧٢. الفوائد الرضوية: ص ٦٨٠.

يداً بيد

نقل أحدهم عن الشيخ السلماسي انه قال:

كنّا ذات يوم جالسين في درس السيد بحر العلوم في النجف الأشرف، وكان الميرزا القمي قد جاء من ايران لزيارة العتبات المقدسة في طريقه الى حج بيت الله الحرام، فلما تفرق تلاميذه ولم يبق في المجلس الاّ بعض مريديه قال الميرزا القمي مخاطباً بحر العلوم: لقد فزت بمرتبة كبيرة بولادة جديدة في الروح والقربى ظاهراً وباطناً، فتصدق علينا ممّا أنعم الله عليك من نعمه التي لا تحصىٰ، فقال السيد على الفور: ذهبت ليلة أمس الى مسجد الكوفة لاداء نافلة الليل، مع نيتي في العودة الى النجف فجراً، لكي لايتعطل الدرس، فلما غادرت المسجد هاجني شوق الى مسجد السهلة في الكوفة، ولكني خشيت ان أتأخر في عودتي الى النجف فصرفت الفكرة عن ذهني، ولكن شوقي كان يتأجج فبقيت حائراً متردداً، فجأة هبت زوبعة أثارت غباراً حملتني الىٰ مسجد السهلة، وماهي إلا لحظات حتىٰ هبطت بي الى الأرض، فدخلت المسجد وكان خالياً من الناس إلا من شخص تبدو عليه سيماء المهابة مستغرقاً في مناجاة مع قاضي الحاجات، فانخلع قلبي لمنظره وارتعشت قدماي لسماع كلماته ودعائه فكأني لم أسمع قبله دعاءً ولا مناجاة، فانهمرت الدموع من عيني.. وأدركت على الفور انه ينشئ الدعاء انشاءً لا حفظاً عن ظهر قلب، فتسمرت في مكاني

اصغي الىٰ عذب كلماته، مستمتعاً بانسياب مناجاته، حتىٰ اذا فرغ من دعائه التفت اليّ وقال: تعال يامهدي، فخطوت نحوه خطوات ثم توقفت فقال لي تقدم، فتقدمت نحوه ثم توقفت فقال: ان الأدب في الإطاعة، فمشيت نحوه حتىٰ تلامست أيدينا واسرّ لي حديثاً..

يقول الشيخ السلماسي ان السيد بحر العلوم وصل في روايته لتلك القصة عند هذا الحدّ ثم سكت[١].

مثلما البحر

يروي المحقق القمي صاحب كتاب (القوانين): كنت زميلاً للعلاّمة بحر العلوم في البحث والدرس عند استاذ الكل (الوحيد البهبهاني) وكنت غالباً ما استعرض له البحث، فلما عدت الى ايران، وانتشرت شهرة السيد بحر العلوم في الآفاق، تعجبت من ذلك، ثم وفقني الله لزيارة النجف، وسألته عدّة مسائل فوجدته بحراً لاينزف، فقلت له متعجباً: ياسيدنا لقد كنّا معاً في الدراسة والبحث وطالما كنت تسألني، والآن أراك كالبحر، فقال لي: هذا سرّ سأبوح لك به فاكتمه مادمتُ حيّاً، ثم قال لي: وكيف لا أكون كذلك وقد ضمني الحجة الىٰ صدره في مسجد الكوفة[٢].

---

(١) قصص العلماء: ص ١٧٣.

(٢) كنز العلماء: ج٨ ص ٣٧١.

أمنية الصلاة

ومن كرامات بحر العلوم ان أخته اشتكت اليه من مرض ألمّ بها، وقالت فيما قالت له انها سترحل عن الدنيا؛ فقال السيد: اطمئني سوف تستعيدين صحتك وسيحقق الله لك امنية لن تتحقق لي، فانا اتمنىٰ ان يصلّي الشيخ حسين نجف ـ وكان مشهوراً بزهده وتقواه ـ عليّ، وتمضي الأيام ويتحقق ما قاله السيد، وكان الشيخ وقتها يعاني من الشيخوخة والمرض فـجاءه خبر وفاة شقيقة بحر العلوم وكان طريحاً علىٰ الفراش وقد داهمته الحمّىٰ، فما ان سمع بالخبر حتى نهض من فراشه وهو في حال طيبة، فصلّىٰ على جنازتها، فلما عاد عاودته الحمّىٰ ولزم فراش المرض.

غروب الشمس

وبعد عمر قضاه في طاعة الله وخدمة دينه انتقل السيد بحر العلوم الى الرفيق الأعلىٰ وذلك في الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١١١٢ هـ وبرحيله غارت ينابيع كانت تتدفق علماً وحكمة ورحمة، واقفر منزل كان يفتح ابوابه ليل نهار لكل عابر سبيل أو محتاج عصفت به الأيام وفقد تلامذته أباً كان بهم رؤوفاً رحيما، وأدرك بعض من سمع الحـديث الذي يقول: «اذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدّها شيء».

وقد هزّ رحيله العالم الاسلامي بأسره،وأغرق الشيعة في حزنٍ مـرير،

وبكاه القريب والبعيد[١].

الصلاة عليه

ومن كراماته المشهورة أيضاً ما نقله صاحب البرهان القاطع عن الشيخ السلماسي من ان السيد كان طريح الفراش وقد ألمّ به مرض الموت، فقال: كنت أرغب بأن يصلّي عليّ الشيخ حسين نجف فهو مضرب المثل بزهده وورعه وتقواه، ولكن لن يصلّي عليّ سوى العالم الرباني الميرزا مهدي الشهرستاني (وكان من معاصري السيد وأصدقائه، توفي سنة ١٢١٦ هـ) فتعجبنا لذلك فالميرزا كان وقتها في كربلاء، ولما لفظ أنفاسه الأخيرة وودّع دار الفناء قمنا بتغسيله وتكفينه، ثم حملنا الجثمان الطاهر الى الحرم العلوي، فطفنا حول المرقد المقدّس، وكان في الطليعة العلماء من بينهم الشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ حسين نجف، ثم حان وقت الصلاة عليه وضاقت بي نفسي فقد سمعت من بحر العلوم ان الذي سيصلّي عليه الميرزا الشهرستاني، والأنظار تتجه الآن الىٰ الشيخ حسين نجف، وبينا انا أفكر في ذلك، إذ لاح الميرزا في الباب الشرقي من الصحن وقد بدت عليه آثار السفر والتعب، فافسحوا له الطريق ووقف أمام الجثمان المسجىٰ وبدأ صلاته، فشكرت الله.

وقد تحدّث الشهرستاني عن ذلك الموقف قائلاً: كنت وقتها أُصلّي

---

(١) تحفة العالم: ص١٣٦.

الظهر في كربلاء، فلما عدت الى منزلي وصلتني من النجف رسالة تفيد بتدهور حالة السيد بحر العلوم وأنه لا أمل في شفائه، فنهضت على الفور متوجهاً الى النجف، فلما وصلت لاحت لي الجنازة من بعيد[١].

سكون البحر

وحمل الجثمان الطاهر الى محلّه الأخير وكان السيد قد أوصىٰ بدفنه الى جانب قبر الشيخ الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ) وشارك في مراسم الدفن نجله الأكبر السيد رضا الطباطبائي، وسمع من يصدح باشعار لم يعرف قائلها:

لله قبرك من قبر تضمنّه ... علم النبيين من نوح الى الخلف
كانت حياتك احياء لما شرعوا ... وفي مماتك موت العلم والشرف[٢]

وما يزال قبره مزاراً يؤمّه المؤمنون تبركاً ببقعة ضمت بين حناياها بحراً من علوم آل البيت وسيرتهم.

وانطلقت القلوب بعد رحيله تشدو باخلاقه الرفيعة ومنزلته السامية.

أنشد تلميذه العبقري الشيخ كاشف الغطاء:

لساني عن احصاء فضلك قاصر ... وفكري عن ادراك كنهك حاسرُ
جمعت من الأخلاق كل فضيلة ... فلا فضل الاّ عن جنابك صادرُ

---

(١) الفوائد الرضوية: ص ٦٧٠.

(٢) الفوائد الرجالية: ص١١٦.

يكــلفني صـحبي نشـيد مـديحكم　　لزعــــمهم انــي عــلى ذاك قــادرُ

فــقلت لهــم هــيهات لستُ بـقائل　　لشمس الضحى ياشمس ضوؤك ظاهر

ومــا كــنت للـبدر المـنير بـناعت　　له أبــداً بــالنور والـليل عـاكـر[1]

وأنشد السيد صادق آل بحر العلوم:

بــحر العــلوم صــاحب المــناقب　　ســيد أهــل الفـضل ذي التـجارب

مــــحقق المــعقول والمــنقول　　مــــدقق الفـــروع والأصـــول

بــــــرٌ تــــقي ورع امـــام　　بـــمثله لم تســـمع الأيـــام

وفـــضله فـــي ســائر الأقــطار　　كـــالشمس فـــي رابــعة النــهار

وكـــم كـــرامــات له مشــتهرة　　وقــد غـدت فـي عـصره مـزدهرة

---

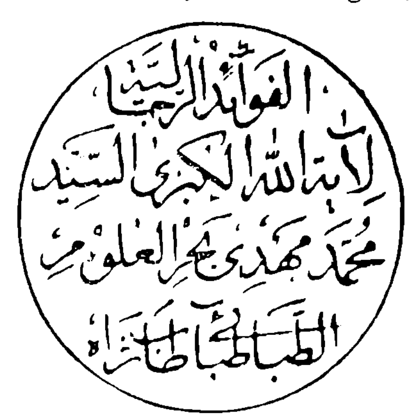
(١) الفوائد الرجالية: ص ٩٩.

مصادر الكتاب

١ ـ اعيان الشيعة، السيد محسن الامين العاملي.
٢ ـ الفوائد الرجالية، العلامة بحر العلوم.
٣ ـ الفوائد الرضوية، الحاج الشيخ عباس القمي.
٤ ـ قصص العلماء، الميرزا محمد التنكابني.
٥ ـ منتهى الآمال، الحاج الشيخ عباس القمي.
٦ ـ تتمة المنتهى، الحاج الشيخ عباس القمي.
٧ ـ الكنى والالقاب، الحاج الشيخ عباس القمي.
٨ ـ روضات الجنات، السيد احمد الخونساري.
٩ ـ تنقيح المقال، الشيخ عبد اللّٰه المامقاني.
١٠ ـ مرآة الاحوال.
١١ ـ وهابي ها (الوهابيون).
١٢ ـ ماضي النجف وحاضرها.
١٣ ـ مستدرك الوسائل، ج ٣. الميرزا حسين المحدث النوري.
١٤ ـ شعراء الغري، ج ١٢ و... .
١٥ ـ فقهاى نامدار شيعة، عقيقي بخشايشي.
١٦ ـ نجوم السماء.
١٧ ـ سير و سلوك، سيد بحر العلوم.
١٨ ـ معارف الرجال.
١٩ ـ مجمع التواريخ.

٢٠ ـ تحفة العالم.
٢١ ـ المآثر والآثار.
٢٢ ـ منتهى المقال، الحائري.
٢٣ ـ ريحانة الادب.
٢٤ ـ لب الالقاب.
٢٥ ـ آشنايى با علوم اسلامي، الشيهد المرتضى المطهري.
٢٦ ـ منتخب التواريخ، الحاج ملا هاشم الخراساني.
٢٧ ـ تاريخ بروجرد.
٢٨ ـ تاريخ سامراء.
٢٩ ـ مقدمة المواهب السنية.
٣٠ ـ شهداء الفضيلة، العلامة الاميني.
٣١ ـ الكرام البررة، الشيخ آقا بزرگ الطهراني.
٣٢ ـ مفاخر اسلام، على دواني.
٣٣ ـ وحيد بهبهاني استاد كلّ، على دواني.
٣٤ ـ زندگاني خاندان آية اللّه بروجردي.
٣٥ ـ مناقب، ابن شهر آشوب.
٣٦ ـ معجم المؤلفين.
٣٧ ـ شمس التواريخ.
٣٨ ـ تتمة امل الآمل.
٣٩ ـ علماء معاصرين.
٤٠ ـ مصفى المقال.
٤١ ـ احسن الوديعة.
٤٢ ـ الذريعة،الشيخ آقا بزرگ الطهراني.
٤٣ ـ تاريخ النجف... .

الصفحة الأولى من نسخة الحجة السيد محمد صادق بحر العلوم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله اجمعين صلوة دائمة الى القيمة فانه باب

ما صدر بالآل آل ابي رافع من ارفع بيوت الشيعة واعلاها شأنا واقدمها اسلاما وايمانا كان ابو رافع

مولى رسول الله ص كان للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي ص فلما بشره باسلام العباس اعتقه واختلف

في اسمه فقيل ابراهيم وقيل اسلم اسلم بمكة قديما وبايع البيعتين بيعة العقبة وبيعة الرضوان وصلى القبلتين

وهاجر مع جعفر بن ابي طالب الى الحبشة ومع رسول الله ص الى المدينة وشهد مع النبي ص مشاهده ولزم

امير المؤمنين ع بعده وكان من خيار شيعته وخرج معه الى الكوفة وهو شيخ كبير له خمس وثمانون سنة وشهد

معه حروبه وكان صاحب بيت ماله بالكوفة ولم يزل معه حتى استشهد فرجع مع الحسن ع الى المدينة ولا دار له

بها ولا ارض وقد كان باعهما في خروجه الى الكوفة مع امير المؤمنين ع فقسم له الحسن ع دار علي ع بنصفين

واعطاه ارضا باعها ابنه عبيد الله من معاوية بمائة الف وسبعين الفا وكان ابو رافع من العلماء ومن سلفنا

الصالح المتقدمين في التصنيف له كتاب السنن والاحكام والقضايا رواه عن امير المؤمنين ع قاله النجاشي

وقال العلامة ره انه اجمع على روايته وابنا ابي رافع من ثقاته وخاصته كاتبا امير المؤمنين ع كانا كاتبيه وكا

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة آية الله الحكيم

باب التوثيق كما يظهر من آخر الفهرست ايضا عند ترجمة ابي الحسين بن عمرو وفيه فانه
الفطحية قال ابو عمرو الكشي محمد بن الوليد الخزاز ومعوية بن حكيم ومصدق بن صدقة
ومحمد بن سالم بن عبد الحميد هؤلاء كلهم فطحية وهم من اجلة العلماء والفقهاء والعدول
وبعضهم ادرك الرضا ع وكلهم كوفيون ج ى محمد بن سالم [illegible] قال العلامة [illegible]
عبد الله بن بكير وابن فضال يعني الحسن بن علي وعمار الساباطي وعلي بن اسباط وبنو الحسن
علي بن فضال علي واحمد ويونس بن يعقوب ومعوية بن حكيم وغيرهم من اجلة الفقهاء والعلماء
فائدة الشيخ صاحب الرجال هو احمد بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن
علي بن ابي طالب عليه السلام فائدة قد يعبر احمد بن علي الزراري [illegible] الايادي [illegible]
ابن الغضائري صاحب الرجال هو احمد بن الحسين بن عبيد الله [illegible] فلاحظ وفي شرح
[illegible] ابراهيم [illegible] قال النجاشي انه شيخ من اصحابنا [illegible] انتقال العلامة
ابن الغضائري انه ضعيف جدا والاقوى عندي قبول روايته قال الشهيد في حاشيته
الاول في ترجيح تعديله لكثرات او لا فلعلها [illegible] الجرح والتعديل [illegible] الاول [illegible]
منه قوثقه ابن الغضائري [illegible] لم يعارض توثيق النجاشي [illegible] على ولادة الحسين بن
عبيد الله كما ذكره في الاجازة فائدة رجال البرقي وهو احمد بن محمد بن خالد [illegible] فيه
الكلام من كتب علماء الفن ان سعد هذا هو سعد بن سعد الاشعري الثقة وهذا يدل
على ان البرقي هذا هو محمد لان محمد بن خالد يروي عنه كما يظهر من ترجمته في الرجال
وذكر النجاشي لسعد بن سعد كتابين مبوب وغير مبوب [illegible] رواية محمد
بن خالد البرقي لكن ذكر في اصحاب الرضا ع محمد بن خالد البرقي وهذا يدل على ان الكتاب
لولده احمد بن محمد بن خالد البرقي فلاحظ ذلك وقد ذكر احمد بن ابي عبد الله البرقي ينقل
عن محمد بن الحكم يعني منه وهو صريح في ان الكتاب له لا لابيه [illegible]
بعون الله تم [illegible] في اليوم الواحد من شهر جمادى [illegible]